عبدالرزاق المبارك

لكيلا يتناثر العِقد

الطبعة الثالثة

لكيلا يتناثر العِقد



لكيلا يتناثر العقد

ح عبدالرزاق بن عبدالرحمن بن علي آل مبارك ، ١٤٢٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
آل مبارك ، عبدالرزاق بن عبدالرحمن بن علي
لكيلا يتناثر العقد .- ط٣.- الرياض.
١١٢ ص ، ٢١ × ١٤سم
ردمك : ٥-٣٥٣-٤١-٩٩٦٠
١ - المرأة في الإسلام ٢ - الحجاب والسفور أ - العنوان
ديوي ٢١٩,١ ٢٣/٠٧٨٥

رقم الإيداع : ٠٧٨٥ / ٢٣
ردمـــك : ٥-٣٥٣-٤١-٩٩٦٠

الطبعة الثالثة - ١٤٢٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كل فتاة بقيتْ مضربَ الأمثال في الثبات على دين الله في خضم الفتن والتي أرجو أن تكون من أول من يقرأ هذا الكتاب بالرغم من أن الحديث ليس لها بالدرجة الأولى.. اللهم إلا زيادة في الإيمان وتثبيتا عليه، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾، وإلا داعية إلى الله على بصيرة، فما أشد الحاجة لذلك الطراز من الناس في هذا الزمان وفي كل زمان ومكان!

إلى كل فتاة عرفتْ الحق فلم تعدُ عنه، أو ابتعدتْ عن الحق ساعة غفلة فما لبثتْ أن عادتْ إليه مطمئنة راضية مرضية.

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع الذي أسأل الله جل جلاله أن ينفعني به يوم تطاير الصحف فآخذٌ بيمينه وآخذٌ بشماله..!!

المحتويات

مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، خلق كل شيء فقدره تقديراً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيراً.

قدر الله لي أن عشتُ في الغرب للدراسة سنواتٍ عديدة، وماكنتُ في يوم من الأيام أحسب أن للغرب يداً طولى فيما يُسمى بحركة (تحرير المرأة) في بلاد المسلمين، كذلك اليوم الذي رأيتُ فيه الإعلانات الحائطية عن محاضرة لأحد رموز هذه الحركة المشؤومة- نوال السعداوي- وذلك في جامعة كلورادو بمدينة بولدر يوم أن كنتُ طالبا هناك..

وعندما جئتُ إلى الندوة، فوجئتُ بالهالة الكبيرة، والجمهور الكثيف وبالتصفيق الحار على ما في حديثها من ضحالة وسطحية كأشد ما تكون الضحالة والسطحية واللغة الركيكة، وكان من غريب عُجَرها وبُجَرها قولها إنها من أسرة متدينة وإنها قَرَأتْ القرآن أربعين مرة ولم تجد فيه مايدل على الحجاب - ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (الكهف ٥) - تقول

هذا في بؤرة عاصفة من الهتاف والتصفيق الحار من جمهور المشجعين!!

فما كان منا - وكان معي بعض الأصدقاء - ونحن نرى هذا التيار الهائج من التضليل، إلا أن رفعنا المصحف مشيرين إلى آيات الحجاب في سورتي النور والأحزاب، فتجاهلت مانقول على الرغم من الاهتمام الذي أبداه بعض الحاضرين لإشارتنا إلى كذبها الصراح، ورغبتهم في معرفة الحقيقة، إلا أننا مُنعنا في المرة الثانية من التعليق على اللاقطة أيضا..

هذا الغرب الذي أُولع كثير من بني جلدتنا بتقليده، والأخذ بكل ماجاء منه مهما كلفهم الأمر، ولو أن ينسحقوا في جحر الضب طولاً وعرضاً، مصداق قول الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قيل: اليهود والنصارى، قال: فمن؟!».

رأيتُ في ذلك المجتمع عن كثب انحدارَ قيم الإنسان إلى الحضيض، وخاصة مايتعلق منه بالمرأة والأسرة، ورأيت عجزَه عن إدراك معنى الإنسانية الحقة، وعن فهم نفسه التي بين جنبيه، وإعراضَه عما يحقق سعادتها ولو أنه استطاع بآلته المأهولة أن يصل إلى سطح القمر أو يجاوزه.

وعندما عدتُ إلى أرض الوطن، آلمني تقهقر القيم عندنا أيضا.. بيْدَ أن الفرق بيننا وبينهم كبير.. جِدٌّ كبير.. فلو قلنا إن لهم في ذلك مندوحة - وليس لهم ذلك - فما بالنا ونحن نقرأ القرآن كل يوم، ونسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم غير صراط المغضوب عليهم ولا الضالين!!

وبعد، فهذه كلمات كَتبتُها بماء العيون، علّها تصل إلى قلبك وتصل إلى كل قلب أخت مسلمة في شرق الأرض وغربها، وعلّها تُعين على إصلاح الزمام قبل أن ينفلت وعلى ترميم العِقد قبل أن يتناثر.. وإلا يكن ذلك فإنه حتماً سَيُستبدل! ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (محمد ٣٨).

عبدالرزاق بن عبدالرحمن المبارك

المستشار برابطة العالم الإسلامي

ليلة الجمعة ١٧ من جمادى الآخرة /١٤٢١ للهجرة

لكيلا يتناثر العِقد!!

أيتها الدرة المصونة والجوهرة الغالية، أرعي لي سمعَك وقلبَك، فإنّ لي إليكِ حديثاً مازال يتردد في جناني ويملأ عليّ فؤادي الذي اكتوى غيرة عليك، ومحبة للخير لك..

كيف ومارأيتُه منكِ هناك تفطر له فؤادي، واغرورقت له عيناي، حتى امتلأتا بحرقة نار الوجدان قبل دموع الأجفان، وأنا أرى بأم عينيّ كيف أغارت مخططات الأعداء، وسهامهم الحاقدة المسمومة، على عزتك وشموخك ودينك، حتى صرتِ ألعوبة في أيدي حثالة القوم، وسقط المتاع من أرباب الأزياء والموضة التي صنعها لك عبادُ الصليب وإخوانُ القردة والخنازير، وروّج لها تاجر أعمى القلب قدم حبَّ المال على حب الله ورسوله..

أجل! فما كان والله يخطر لي ببال أنكِ تسقطين في شراكهم، فقد كنتُ أحسب أنك في مأمن من ذلك كله وكنتُ أرى لك رأياً وإيماناً.. كيف وقد أصبح حجابك وأمسى مثل السفينة وهي تُشرف على الغرق، يتقاذفها الموج ويأتيها الموت من كل مكان!!

أرأيتِ كيف عَدَتْ على خمارِكِ عوادي الدهر وفوقه هذه الطُرَح المزركشة؛ فقد صار أداة للزينة تُظهر الحُسْن وتستر غير ذلك، وربما استحال إلى لثام في يدك يُكشف لذاك ويسدل عن هذا، تفعلين ذلك وكأن الله لايراك، وأنتِ تعلمين أنه مطلع على خطرات نفسك التي بين جنبيك ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾(البقرة ٢٣٥) واللهُ أمرك بالستر عن جميع غير المحارم دون استثناء!!

ثم إنهم أسقطوا عباءتك عن علياء رأسك وألبسوك ثوباً أسودَ أشبه شيء بأثواب الرجال وسموه كذبا وزوراً عباءة، نعتوها بالعمانية، وتارة بالفرنسية، وبالمغربية تارة أخرى، لايلوون على شيء طالما أنها تحقق لهم هدفهم الأكبر - وهو إسقاط حجابك بالكلية - وإلا فمنذ متى سمعتِ أن فرنسا تعرف الحجاب وتصدره وتدعو إليه، ألا إنها سُميتْ بالفرنسية لأنها ليست عباءة أصلاً.. ثم بعد ذلك جاؤوكِ بالطامة "العباءة الأمريكية" وهي باختصار فستان على شكل بنطال كالذي تلبسه الكوافر وله كوفية بدل الخمار!!

فانظري كيف يتدرجون بك إلى الهاوية خطوة خطوة، وهكذا خطوات الشيطان، فأي فتنة في الدين هذه وأي سخرية بشعائر الإسلام!! قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ (البقرة ٢١٧) وقال في شأن المنافقين والمستهزئين بالدين: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ (التوبة ٦٥-٦٦) فنعوذ بالله من فتن يرقق بعضها بعضا!

وجاء دور الكنيسة

أختي المؤمنة.. أوماسمعتِ ذلك المنصر الذي وقف في أحد مجامعهم في بلاد الغرب، ثم قال تظنون أننا لم نفعل شيئاً في جزيرة العرب ولم نحقق نجاحاً.. وصمت قليلاً ثم قال: نعم نحن لم نستطع أن نُدخلَ رجالهم في النصرانية ولكننا نجحنا في أن نُلبس نساءهم لباس راهبات الكنيسة.

وإن شئتِ فقارني بين هذه العباءات المستحدثة وبين لباس راهبات النصارى وستعلمين حجم المؤامرة التي يدبرها أعداء الفضيلة وحزب الشيطان.. ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (المجادلة ١٩).

وفي واحدة من دوريات الإرساليات التنصيرية التي تستهدف عقيدتنا وأخلاقنا وتتوجه إلى خدمة أغراض التنصير وجمع الأموال الطائلة لهذا الهدف، وضعوا صورة لامرأة منتقبة ثم كتبوا تعليقاً على هذه الصورة!! ماذا كان تعليق أولئك المنصرين على صورة المرأة المنقبة..؟؟ لقد كتبوا تحت الصورة عبارة ساخرة تقول: "مِن الصعب أن تتحدث إلى هذه المرأة مباشرة.. ولكن ما أسهلَ أن تصل إلى قلبها!!"..

مصممة الأزياء الإيطالية والعباية

ولقد قرأتُ مقابلة أجريت مع واحدة ممن شاركن في تصميم هذه العباءات الجديدة، وهي **رفائيلا كاردينالي** مصممة الأزياء الإيطالية حيث جاءت لتقيم عرض أزياء تقول: إن أولى زياراتها كانت عام ١٩٩٧م ثم اعتادت بعدها على الحضور، وعبرت عن سرورها لما حقق عرض الأزياء الذي أقامته في الرياض من نجاح كبير، وأنها تخطط للمجيء إلى هنا مرات ومرات!! وتحت عنوان "العباءة السعودية زي ينافس الأزياء العالمية" - هكذا كان العنوان - دار هذا الحوار:

ما الذي جذبك في العباءة السعودية؟

رفائيلا كاردينالي: العباءة السعودية تشبه "المعطف" الأوروبي، لذلك يمكنها المنافسة في الأسواق الأوروبية خاصة في المساء مع الشال، فالسهرات في أوروبا تعتمد على المعطف والشال، إذن هي فكرة قريبة جداً من الذوق الأوروبي، بالرغم من أنها تمثل زياً عربياً. إضافة إلى أن تصميم العباءة شئ رائع وجذاب ومختلف.

ما هي الخامات التي استخدمتِها في تصميم العباءة القريبة من المعطف الأوروبي؟

رفائيلا كاردينالي: المعطف دائماً ما يكون مصنوعاً من الصوف وبالتالي عادة ما يفتقد الأناقة، لذلك عمدت إلى صنع العباءة التي تصلح كمعطف من خامات غير الصوف كالحرير والساتان والكتان وغيرها.

هل قمتِ بتصميم أزياء سعودية أخرى غير العباءة كالثوب السعودي مثلاً؟

رفائيلا كاردينالي: لا.. ربما في المستقبل فأنا لا أعرف مدى تقبل السوق لتصميمي للثوب..إلخ[1].

عباية للسهرة وللعزاء وللجامعة و.. و..

وفي صحيفة الوطن العدد (٣١) - الاثنين ٣ شعبان ١٤٢١هـ - تطوير العباءة بخطوط وألوان زاهية: ففي حوار مع مصممة أزياء تحمل اسم امرأة مسلمة هذه المرة مع مزيدٍ من الأسف مشوبٍ بالحزن الشديد! ..لكني أرغب عن ذكر اسمها رغبة لها في الهداية؛ فلا يزال للمرء باب للتوبة مفتوح ما زال له عِرْقٌ ينبض أو نَفَسٌ يجري اللهم إلا عند غَرغَرة الروح!!

كان عنوان الحوار بالحرف الواحد: "عباءة للجامعة وللمدرسة وللطبيبة وللسهرة وللعزاء"

كيف كانت البداية في مجال التصميم؟

- وُلدتْ الفكرة من واقع حياتنا، حيث أننا مرتبطون ارتباطا وثيقا بالعباءة السوداء منذ زمن بعيد ولأننى أحب فكرة التغيير في ملابسي قررتُ النظر في العباءة التقليدية السوداء التى ليس لها ملامح أو تصميم ولا ترتبط بالموضة، خاصة وأن الذي يظهر من ملابس المرأة هو العباءة.

ما هي الملامح الجديدة التي أضفتِها للعباءة؟

- بدأتُ بفكرة إدخال ألوان جديدة على اللون الأسود التقليدي، بحيث تتناغم معه فمثلاً أدخلت الألوان المتداخلة والمتدرجة التطريز بحيث تكون مبهجة. وكانت الخطوة الأولى هى العباءة الملونة، فأنا أول من ابتكرها وكنتُ أول من قام بارتدائها أنا وأمي وأختي، ثم نالت إعجاب دائرة المحطين بي، ومن هنا ذاع صيتي، وانتشرت العباءة. ودائما أصر على التميز حيث لا أنفذ أكثر من أربع عباءات من كل تصميم، بحيث تشعر كل امرأة أنها ترتدي شيئاً مميزاً خاصاً بها.

ومن أهم ابتكاراتي أيضا العباءة "ذات الوجهين" فوجه بلون واحد سادة، والوجه الآخر بتدريج الألوان، وكل عباءاتى بهذا الشكل حتى تشعر المرأة أنها تملك عباءتان في واحدة.

ثم تضيف إلى قائمة منجزاتها فتقول: وأنا أول من أدخل اللون الزهري الفاتح فى العباءة. وهناك أيضا العباءة اللوحة؛ أي أن بداخلها لوحة فنية تعبر عن منظر طبيعي، وتضفي الألوان الزاهية على العباءة التقليدية، وأنا بطبيعتي أحب مواكبة الجديد فى الموضة. فعندما طُرحتْ سيارة الـ (بي إم -٧٤٠) ذات اللون العودي.. أطلقتُ عليها اسم عباءة الـ (بي إم).

ماهي فلسفتك فى تصميم العباءة؟

- أنا أومن بأن لكل مناسبة عباءة: للمدرسة وأخرى للجامعة، وواحدة للطبيبة، وأخرى للسهرة، وللعروس، فأنا لا أرى أن عباءة واحدة تكفي لجميع المناسبات، فحتى العزاء له عباءة مخصصة تلائم المناسبة فهي سوداء دون أي تطريز أو ألوان ومغلقة لكنها أنيقة من حيث القَصة والتصميم.

ثم تضيف: أما عباءة العروس فهي ذات ألوان مبهجة وتطريز أكثر من أي عباءة أخرى، وقد تكون باللون نفسه الذي اختارته العروس لقاعة الأفراح والكوشة، كما أن هناك عباءة للمسجد خاصة في شهر رمضان. فهي ذات أكمام مغلقة وبسيطة من حيث التصميم...

هل تعتقدين أن العباءة قد تصل إلى العالمية؟

- ممكن وبسهولة لأنها "رمز للتراث" مما يلاقي إقبالاً كبيراً في الغرب...

ماهو الجديد الذي ستقدمينه؟

- عندي عرض أزياء.. سأقدم فية مجموعة ٢٠٠٠ والعدد محدود من كل تصميم والجديد هو التصاميم المجسمة واللوحات الفنية على العباءات...

إلى آخر ماجاء في المقابلة من سخرية بالحجاب وتسميته (تقليدياً) و(رمزاً للتراث) وعباءة الـ (بي إم)، وأن كل عباءاتها من نوع (ذات الوجهين)، هكذا تسميها - ويالها من حيلة تمهد لتطبيع نزع البقية الباقية من الحجاب - تصلح لكل ذاتِ وجهين، ممن لا تتورع عن إهانة نفسها وحجابها، تلونه كيفما يقتضي الوضع الخارجي والظروف الراهنة وأعين الرقباء!!!

فانظري إلى من يصمم حجابك الذي تَدينين الله به، ومن يتلاعب به، ويخطط له، حتى صار أثراً بعد عين أو كاد، إنهن الساقطات من نصارى أوروبا، ومن ورائهن أناس من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.. ثم جئتِ أنت لتكوني معرِضَهم الدائم، وشماعتهم المتنقلة التي يعلقون عليها بضاعتهم شئتِ أم أبيتِ وتعطينهم مقابل ذلك مالاً وفيراً، خسارة في الدنيا وخسارة في الدين، فعوذاً بالله من الحَوْر بعد الكَوْر ومن الضلالة بعد الهدى ومن عاقبة السوء.

أمَا وهذه الرزيئة المدلهمة وهذه الغُربة المستحكمة - وطوبى.. طوبى للغرباء - لنحن أحق بتمثّل هذا الرثاء ممن سبقَنا من أهل الملة البيضاء:

هـذا الزمـانُ الـذي كنـا نحـاذره ... فيما يحدث كعبٌ وابـنُ مسعودِ
دهـرٌ بـه الحـق مـردودٌ بطالعـه ... وطـالع الكفـر فيـه غـير مـردودِ
إن دام هـذا ولم يحـدث لـه غِيَـرٌ ... لم يُبك ميت ولم يُفرح بمولودِ

من أين هذا الزي؟

أختاه لقد قال ربي وربك: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾(الأعراف ٢٦).

وقد كنتُ بالأمس أمام بيوت الأزياء التي زخرفوها لكِ، وإني لا أكاد أصدق أنّ من يشتري هذه القطع القماشية المشققة، والقصيرة، والضيقة، والشفافة، وهذه البناطيل الفاضحة، التي علقوها على جدرانهم وأصنامهم، وأسموها ملابس، وقد أعمى بصائرهم الجشعُ عن كل فضيلة.

وَيْكَأنّها أُمنيّةُ إبليس القديمة يا أخيّة وفتنته التي أخرجت أبوينا من الجنة: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف ٢٧).

إنني لا أكاد أصدق أن من يشتري هذه الزينة المحرمة، وهذا السفور البُواح، هنّ أنتِ وأترابك من المؤمنات العفيفات، اللائي حملن

في قلوبهن لا إله إلا الله، وخفَقتْ في صدورهن آيات كتاب الله وأحاديث رسوله عليه الصلاة والسلام:

مِنْ أينَ هذا الزي؟ ما عَرفتْ   أرضُ الحجاز ولا رأتْ نَجدُ
هـذا التبـذلُ يـا محدثـتي   سـهمٌ مـن الإلحـاد مُـرتدُّ
ضـدانِ ياأختـاه مـا اجتمـعا   دينُ الهدى والفسقُ والصدُّ
والله مـــا أزرى بأمتنـــا   إلا ازدواجٌ مـــا لـــه حـــدُّ

رويداً رويداً

أحقا أنتِ حفيدة خديجة، وفاطمة، وعائشة، وأسماء، وأم سليم، وأم عمارة، وذلك الطراز الأول من النساء - اللاتي يتشرف بذكر أسمائهن المداد ويتضوع بشذا عَرفهن أجواء بيوت الطهر والإيمان؟!

أحقا أنت حفيدة أمهات المؤمنين، وسليلة نساء الأنصار، اللاتي قالت عنهن عائشة رضي الله عنها فيما رواه ابن أبي حاتم عن صفية: «ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن فقالت: إن نساء قريش لفضلاء، ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا بكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل، لقد أُنزلت سورة النور: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾، فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ماأنزل فيها، مامنهم امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان».

وها هي أم المؤمنين عائشة، أعلم نساء هذه الأمة رضي الله عنها، لاتفرط من ذلك بشيء، بل وهي في حال الإحرام

على الرغم من أن للنقاب حكماً خاصاً - والحالة هذه - عُلِم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين» رواه البخاري.

غير أن ذلك لا يعارض ما عُلم من وجوب سدل غطاء الوجه بحضرة الرجال الأجانب، ويقر ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحرِمات، فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والدارقطني والبيهقي.

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: قوله في حديث ابن عمر: «لا تنتقب المرأة المحرمة» وذلك لأن سَترَها وجهها بالبرقع (أي النقاب المشروع) فرض إلا في الحج، فإنها ترخي شيئاً من خمارها على وجهها غير لاصق به، وتُعرض عن الرجال ويُعرضون عنها، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقاً على حديث ابن عمر السابق: "وهذا مما يدلّ على أن النقاب

والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن".

وصح عن فاطمة بنت المنذر - وهي حفيدة أسماء - أنها قالت «كنا نخمّر وجوهنا ونحن مُحرِمات، ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق» رواه مالك وغيره مما يدل على جريان العمل في مدينة النبوة على هذا حتى عصر التابعين ومن بعدهم، وهذه نصوص محكمة يُردُّ إليها المتشابه على طريقة الراسخين في العلم، الذين امتدحهم الله جل جلاله في مفتتح سورة آل عمران!

خلق هذه الأمة

ومع أن السنة للنساء - إذا صلين في المسجد - أن يتأخرن عن الرجال ويبدأن بالصف الأخير؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها» رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. وقد أمر صلى الله عليه وسلم بتخصيص باب لهنّ في مسجده لايدخل منه الرجال.

وأن من هديه في هذا الشأن، ماورد في حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلّم حين يقضي تسليمه يمكث في مقامه يسيراً قبل أن يقوم، قالت: نرى أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال» رواه البخاري.

ومع ماعرف عن أولئك الصفوة من الرعيل الأول من الامتثال لأمر الله ورسوله دون تريّث؛ فقد روى أبو داود في السنن والبخاري في الكُنى بسنديهما، وهذا لفظ أبي داود: عن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري، عن أبيه رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد

فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للنساء: «استأخرن فإنه ليس لكنّ أن تَحْقِقْنَ الطريق، عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلصُق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها».

ولعَمْرُ الله إنها صورة تهز جنان المؤمن، فهذا هو أفضل جيل وقرن على مر التاريخ، وها هن أفضل النساء بين أفضل الرجال، وهم خارجون من مسجد رسول الله بعد أداء فريضة من فرائض الله، وبين ظهرانيهم سيد الأولين والآخرين صلوات ربي وسلامه عليه، ثم يأمر نبي الله نساء المؤمنين، فمايكون منهن إلا الاستجابة الكاملة: «فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها»، أفلا يتحرك قلبك ويهتز وجدانك.. ألا تهمل دمعتك وأنت ترين هذه الصورة- التي هي غايةٌ في الحشمة والطهارة- فأين أنتِ من ذلك يا أمة الله، لا أقول في بيوت الله، فإني أراك لاهية عن ذلك الموطن بغيره من زينة الدنيا وزخارفها- وكم من واحدة أخرى لم تدخل المسجد إلا محمولة على الأعناق، يوم تلتف الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق - ولكن أين أنتِ من ذلك الخُلُق.. خلق الحياء، خلق هذه الأمة، "الحياء شعبة من الإيمان"، "الحياء

كله خير" وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها.. أين أنت منه في الأسواق، وفي المطاعم، وفي المنتزهات، وفي دور الأفراح؟ قال مجاهد عند قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (الأحزاب ٣٣)، "كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال فذلك تبرج الجاهلية"!! وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي وابن حبان والطبراني في الكبير «المرأة عورة فإذا خَرجتْ من بيتها استشرفها الشيطان، وأقرب ماتكون من رحمة ربها وهي في مقر بيتها».

نساء قرشيات وذوق رفيع

أمّا إذا كنتِ تظنين - لاقدر الله - أن أمر الستر والحجاب من القشور - كما يزعم بعض المغرضين والمغفلين - وكما نسمع هنا وهناك فإنه من نافلة القول أن أقول لك إن دين الله عز وجل وشريعته المطهرة أعظم وأجل من أن يكون بها قشور، فإن كان هذا البيان وهذه الحجة لاتكفي وإن كان لايزال من ذلك في نفسكِ شيء، فأسوق لك ماجاء في السنة من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جر ثوبه خيلاءً لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: يرخين شبراً، قالت إذن تنكشف أقدامهن، قال فيرخينه ذراعاً لايزدن عليه» رواه مالك وأحمد وأصحاب السنن وغيرهم وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

فانظري رحمك الله إلى هذه الطاهرة المطهرة أم سلمة المخزومية الشريفة رضي الله عنها وأرضاها، وكيف لها من الفقه في دين الله أنها أدركت بذكائها وبصيرتها وبذوقها السليم أن المرأة مناط للستر والحجاب - وانظري ذلك في قولها «فكيف يصنع النساء بذيولهن؟» مع شبهة تعارضه مع النص

الدال على حُرمة جر الثوب خيلاءً وعلى الرغم من أن الإسبال من الكبائر وما تعلق ذلك من العقوبة العظيمة، وهو حرمان المسبلين خيلاء نظر الله إليهم يوم القيامة، ويالها من حسرة ويالها من عقوبة!! فكيف إذن بعقوبة المتبرجة والسافرة.. إنها نار جهنم - كما سيأتي الدليل على ذلك بعد قليل - حماني الله وإياك من حرها وأظلنا الله في ظله يوم لاظل إلا ظله.

وانظري سلكني الله وإياك في طريق الرشاد كيف أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الفهم النافذ وهذه البصيرة الباصرة، بأنْ رخّص للنساء - وهو المؤيد بوحي السماء - أن يرخين الجلباب (العباءة) شبراً ثم ذراعاً! وهذا من أجل ستر الأقدام وحسب، فكيف بما غير ذلك من زينة المرأة ومفاتنها.. لا شك أنه داخل بالقياس المطرد من باب أولى.. بل إن الله عز وجل أمر بأكثر من ذلك، ربك وخالقك، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ (النور ٣١)، فإن ذلك محرم بنص القرآن ولو كانت القدمان مستورتين!!

وروى الحاكم - وصححه على شرط الشيخين - عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كنتُ أدخل البيت الذي دُفنَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى واضعةً ثوبي،

وأقول: إنما زوجي وأبي، فلما دُفن عمر، والله ما دخلتُه إلا مشدودةً عليّ ثيابي، حياءً من عمر».

ولَشَدَّ ما يَعجبُ المرء من صنيع عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، وأعجب ُمنه أنكَ لو ذكرتَ هذا الموقف لأحد من المفتونين والمفتونات في هذا العصر على أنه وقع من فتاة صالحة مستقيمة من غرباء هذا الزمان، فلربما سمعتَ أوصاف التشدّد والتطرف ونعوته الفصيحة والمترجمة تنهمر كالمطر على تلك الفتاة المعقدة الغريبة!! ..لكنها غربة الدين ودخائل التغريب ونقص الإيمان والحياء..

إنما هي عائشة ذاتُ الإيمان، والقلب الشفاف العامر بكل ألوان المروءة والطهر وحلاوة التقوى.. قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي روته هي عنه «الحياءُ والإيمان قرنا جميعاً، فإذا رُفع أحدُهما رُفع الآخر».

وهذه أختها أسماء بنتُ الصدِّيق رضي الله عنها وأرضاها تكتب درساً تسجله لنا أسفار التاريخ بمداد من ماء الذهب تقول: «انطلقتُ يوما إلى أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعمل بها، وفي يوم من الأيام حملتُ النوى على رأسي وقفلتُ راجعة إلى الدار وفي الطريق قابلتُ

رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم حملي فناداني وأناخ بعيره ليحملني فاستحييتُ أن أركب معه وأن أسير مع الرجال فعرف ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومضى وتركني، ومضيتُ أنا حتى بلغتُ الدار» ..وأترك هذه الصورة الناطقة تحمل أسفاراً من معاني الفضيلة والحشمة والكرامة، يهش لها وجه الشمس وتبتسم لها نجوم السماء، أتركها دون تعليق وأكتفي بما ربما يعتمل في قلبك ويذرف من عينك..!!

فيا من تركبُ مع السائق مسلماً كان أو كافراً، تذكري دائما هذا الحديث وقولي: أين هو من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين أنا من أسماء؟؟ ..وتذكري ذلك وأنت تدخلين على الطبيب دون محرم وما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطانُ ثالثهما كما قال الصادق المصدوق!! فما بالك باثنين الشيطانُ ثالثهما كيف يفلحان!!

وتذكري ذلك وأنت تتحدثين مع البائع بطريقة غير لائقة، وهو أجنبي عنك وأنتما في السوق - الذي هو شر البقاع - حيث يضع الشيطان كرسيّه وحيث يُذبح الحياء.. وينتحر العفاف.

فإذا كنتِ تريدين السلامةَ لدينك والطهارةَ لقلبك - وأحسبكِ كذلك - وذهبتِ إلى السوق لحاجة فاذهبي مع ذي محرم واتركي له أمر محادثة الرجال والاختلاط بهم ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيراً مما ترك.. وقد علمنا هذا الأدب ربنا عز وجل حيث خاطب أفضل الرجال وأفضل النساء بقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (الأحزاب ٥٣) ..فيا سبحان الله! أطهر لقلوبِ مَنْ وقلوبِ مَنْ؟ إنه خلق الحياء.. الحياء خلق هذه الأمة!!

امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر

وفي أيام الحج، خطب صلى الله عليه وسلم فيما روى البخاري ومسلم فقال: «لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل فقال: يارسول الله إن امرأتي خَرجتْ حَاجّة، وإني اكتتبتُ في غزوة كذا وكذا. فقال صلى الله عليه وسلم: انطلق فحج مع زوجتك».. قالها عليه الصلاة والسلام دون قيد أو شرط، ولم يسأل عن حالها أهي فتاة صغيرة؟ أهي موثوقة؟ أهي مع رفقة مأمونة؟ قالها لرجل ليس بذاهب إلى منافسة رياضية، أو إلى سَمْرة مسائية مع الأصدقاء، ذاهب إلى الغزو في سبيل الله، وهذه المرأة ليست مسافرة من أجل زيارة قريبة أو صديقة، ولا من أجل التسوق والتفسح وتغيير الجو، لكنها ذاهبة إلى جهاد المرأة الذي لا شوكة فيه وهو الحج والعمرة!!

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر فيما خرّجه بعض أهل العلم في المتواتر الذي يرتقي من رتبة الظن الغالب إلى اليقين في الثبوت «لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا مع ذي محرم».

أحوال.. وأهوال

أخيّتي افتحي قلبك، أزيلي عنك هذه الغشاوة، فإنه يوشك أن يَنفلتَ الزِّمام وأن يتَنَاثر العِقد..

أرى خَلَلَ الرماد وميضَ جمر ... وأخْلِقْ أن يكون له ضِرامُ
وقد غفلتْ أمية عن سناها ... ويوشك أن يكونَ لها اضطرامُ
أقولُ من التعجب ليتَ شِعْري ... أأيقاظ أمية أم نيامُ

بَلْ

أرى ناراً تأجّجُ من بعيدٍ ... لها في كل ناحية شَعاعُ
وقد نامتْ بنو العباس عنها ... وأضحتْ وهي غافلة رتاعُ
كما نامتْ أمية ثم هبت ... لتدفعَ حين ليس لها دفاعُ

ويوم ذاك ستكونين أنتِ الخاسرَ أولاً وآخراً، وليكن لكِ عِبرة وعَبرة لما أصاب بلادَ الإسلام التي فرط أهلوها بهذا الأصل العظيم - وإن كانت الأخبار لا تزال تحمل لنا البشائر بعودة المسلمات إلى الحجاب بقوة في حواضر مصر، والجزائر، والشام، والعراق، وتركيا، وهو في زيادة لا نقص - وإنّ صالحيهم من النساء والرجال ليودون بذل أرواحهم رخيصة من أجل أن يعود لهم ماكان عندهم من الخير بالأمس لِمَا رأوا من

المصائب والرزايا. إن إخواننا وأخواتنا من أهل تلك البلاد يسوءهم أن يروكِ تأخذين الطريق المعاكس للحق الذي كنتِ عليه وإنهم ليمْحضونكِ خالص النصيحة، يابنتَ جزيرةِ الإسلام ومأرزِ الإيمان - في زمان الغربة - وحصنِ الإسلام الحصين!

قال صلى الله عليه وسلم: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء، وهو يأرِزُ بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها» رواه مسلم.. وها هن فتيات الإسلام في كل مكان شددن أبصارهن إليكِ ينظرنَ كيف تصنعين وتقولين، وماذا تلبسين، وقد كانوا تَخِذُوك قدوة بالأمس؛ فابقيْ لهن - كما كنتِ - أسوة حسنة!! واجعلي ذلك أجراً وصدقة جارية لك إلى يوم القيامة.

أمَا وإنها توشك الفتن أن تموج موجَ البحر، وحينذاك فإن باطن الأرض خير لنا من ظاهرها، يوم يمر الرجل على قبر أخيه فيتمرغ عليه ويقول ليتني مكانه!! وتجيء فتن فيرقق بعضُها بعضاً وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تتكشف فتجيء الفتنة فيقول هذه هذه!!

وجاء من الوعيد للعصاة مايوقظ قلوباً غافلة عمّا تخبئ الأيام من الأحوال والأهوال التي لاينجو منها إلا من أخذ

الكتاب بقوة، وشمّر عن ساعد الجد في طلب النجاة.. روى البخاري وأبوداود عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف ولينزلنّ أقوام بجنب علم- أي جبل- يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة، فيقولوا ارجع إلينا غداً، فيُبيِّتُهم الله- أي يهلكهم- ويضع العلم- أي فوقهم- ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»... نسأل الله السلامة واللطف..

وانظري إلى قوله صلى الله عليه وسلم من (أمتي) فهم ليسوا يهوداً ولانصارى، وجاء في رواية أخرى أنهم يصلون ويصومون ويحجون؛ لكنها الحرمات إذا استبيحت والمحرمات إذا استحلت وقع الهلاك الماحق، والعقوبات العامة من الخسف والقذف والمسخ.

وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس فذلك ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (الأنعام ١٥٨)، أي أن باب التوبة أغلق، وطُبع على كل قلبٍ بما فيه

وكُفي العمل، ولاتَ حينَ مَنْدم!! ..حتى إذا أصبح كل مسوّف للتوبة ذلك اليوم، رأى الشمس تطلع من حيث كانت تغرب في مفاجأة مدهشة.. رهيبة.. لايَعرف التاريخ لها نظيراً من قبل!!

ويكون خروج الدابة على الناس ضحى تسِمُ الناس على خراطيمهم وأيّ الآيتين كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا!!

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾(النمل ٨٢).

سنون خداعة

وجاء في وصف أهوال فتنة الدجال أنه ينزل في سَبخة بمرقاة، فيكون أكثرَ من يخرج إليه النساء حتى إن الرجل يرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه[٢]. نسأل الله العصمة والتثبيت..

ولاتحسبي أن ذلك بعيد.. وإنّ أمام الدجال سِنونَ خداعة كما ورد في الأخبار الصحيحة وها قد بدأت العلامات تظهر واحدة تلو الأخرى فقد أعلن مؤخرا وزير زراعة العدوّ الإسرائيلي في ما نقلته وكالات الأنباء العالمية أن مياه بحيرة طبرية بدأت في التناقص الشديد والتي سوف تؤول بها إلى الجفاف و لابد من وجود حل لمشكلة المياه!!

إن هذا الخبر غايةٌ في الخطورة: لأن واحدةً من علامات قرب ظهور المسيح الدجال وخروج يأجوج ومأجوج المؤكدة في الصحيح جفاف بحيرة طبرية كما ذكر هو - أي الدجال- بنفسه حيث سَأل عن ثلاثة أمور منها أنه قال: أخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء؟ قالوا: نعم قال: إنّ ماءها يوشك أن يذهب!!.. وهذا في الحديث الطويل من قصة تميم الداري

رضي الله عنه التي رواها مسلم في صحيحه - وكان تميم الداري من أحبار النصارى ثم أسلم ونال شرف الصحبة - والذي أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث به على منبره وافتتحه مبتسما من عجيب توافقه مع ماكان حدّث به أصحابه صلى الله عليه وسلم من قبل..

وقد نُقل عن العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله أنه لمّا سمع بانخفاض مياه بحيرة طبرية إلى الرّبع غلبه البكاء وقال هذا زمن خروج الدجال..

وإنّ من علامات خروجه غَوْرُ العيون ونزف الأنهار وهذا كله وقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم وهو في ازدياد واطراد.

وإن من أوصاف الحق أن بعضه يصدِّق بعضا، فمن علامات خروج الدجال عندنا حضور الملحمة - التي بين نبي الهدى صلى الله عليه وسلم مسرح عملياتها بقوله «أنتم شرقي نهر الأردن وهم غربيه» - وما اجتماع اليهود غربي نهر الأردن وحِلْفُ الروم لهم إلا إرهاص بقرب هذه الأحداث التي بشرنا صلى الله عليه وسلم فيها بشهداء هم من خير الشهداء، ثم بالنصر المبين في تلك الملحمة الكبرى، ثم بفتح القسطنطينية

الثاني، وبفتح رومية. أما اجتماعهم هذا، فهو أيضا علامة - جاء ذكرها في صحف أهل الكتاب - لحضور الملحمة وخروج الدجال ليقوم ببناء هيكلهم المزعوم على أنقاض مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم "المسجد الأقصى" - حرسه الله من كيدهم بعينه التي لا تنام وبعزه الذي لا يُضام!

ثم ها هم اليهود من جميع أقطار العالم يهاجرون إلى أرضنا المحتلة في فلسطين إلا يهود أصبهان!! لماذا لا يهاجرون إلى هناك؟ لأنهم ينتظرون خروج مسيحهم الدجال وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أنه يخرج من المشرق يتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان عليهم الطيالسة.

وإن من شأنه أنه يأتي والناس في ذهول عن ذكره، حتى إذا أصبح على مشارف المدينة وصعد أُحُداً ينظر إلى المسجد النبوي ويقول أترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد؛ فعن محجن بن الأدرع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال: «يوم الخلاص و ما يوم الخلاص ثلاثا فقيل له: وما يوم الخلاص قال: يجئ الدجال فيصعد أحداً فينظر المدينة فيقول لأصحابه: أترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب منها ملَكاً مُصلتاً فيأتي سبخة

الجرف فيضرب رواقه ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فلا يبقى منافق و لا منافقة و لا فاسق و لا فاسقة إلا خرج إليه فذلك يوم الخلاص»[٣].

وقد رأيتُ بعيني صورة التقطتْ للمدينة النبوية من الأقمار الصناعية وإذا أظْهَرُ مافيها زادها الله تشريفاً وتعظيماً مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بدا كالقصر الأبيض في وسط المدينة ، وعلق بعض العلماء أنه لأول مرة في التاريخ يكون المسجد النبوي في مثل هذا اللون.. فاللهم سلم.. سلم.

كاسيات.. عاريات

أخيّتي أزيلي عنك هذه الغشاوة.. أفيقي، إن التبرج من كبائر الذنوب، ويترتب عليه دخول النار والحرمان من الجنة وناهيك بذلك!!

ففي الحديث الذي أخرجه من طريق أبي هريرة مسلمٌ في صحيحه قال صلى الله عليه وسلم «صنفان من أهل النار لم أرهما.. وذكر منهما: ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا» ورواه مالك عنه أيضا مختصراً في الموطأ وجاء فيه «وريحها يوجد من مسيرة خمس مئة عام».

ولا ينقضي عجب المرء من دقة تطابق ما بينه أهل العلم في معنى هذا الحديث مع ما يستجد من أحوال الناس هذه الأيام.. وكأنما يُطلون على زماننا هذا من نافذة، وإنما ذلك لأنهم نظروا بمشكاة النبوة، والنور الذي أنزل على محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، قال الإمام النووي تعليقاً على هذا النبوءة العظيمة وهذه المعجزة التي رأيناها رأي العين[٤]:

أما الكاسيات ففيه أوجه:

أولها: معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها.

والثاني: كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير، والاهتمام لآخرتهن والاعتناء بالطاعات.

والثالث: تكشف شيئا من بدنها إظهاراً لجمالها فهن كاسيات عاريات.

والرابع: يلبسن ثياباً رقاقاً (أي شفافة) تصف ماتحتها كاسيات عاريات في المعنى.

وأما مائلات مميلات:

فالوجه الأول: زائغات عن طاعة الله، وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها، ومميلات يعلمن غيرهن مثل فعلهن.

والثاني: مائلات متبخترات في مشيتهن، مميلات أكتافهن.

والثالث: مائلات يتمشطن المشطة (أي التسريحة) الميلاء، وهي مشطة البغايا معروفة لهن، مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة.

والرابع: مائلات للرجال، مميلات لهم بما يبدين من زينتهن وغيرها.

وأما رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة:

فمعناه يعظمن رؤوسهن بالخُمُر.. وغيرها مما يلف على الرأس، حتى تشبه أسنمة الإبل البخت، هذا هو المشهور في تفسيره.

قال المازري: ويجوز أن يكون معناه يطمحن إلى الرجال، ولا يغضضن عنهم، ولا ينكسن رؤوسهن.

واختار القاضي (عياض): أن المائلات يمشطن المشطة الميلاء قال وهي ضفر الغدائر وشدها إلى فوق، وجمعها في وسط الرأس فتصير كأسنمة البخت، قال وهذا يدل على أن المراد بالتشبيه بأسنمة البخت؛ إنما هو لارتفاع الغدائر فوق رؤوسهن وجمع عقائصها هناك وتكثرها بما يضفرنه حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام.

ماذا أنزل من الفتن..

عن أم سلمة زوج النبي قالت استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعاً يقول: «سبحان الله! ماذا أنزل الله من الخزائن! وماذا أنزل من الفتن! أيقظوا صواحب الحُجَرات، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة» رواه البخاري ومالك وغيرهما.. قال الباجي في المنتقى "..يحتمل أن يريد به أنها كاسية في الدنيا بلباس ما قد نُهيتْ عنه، فهي تعرى من أجله في الآخرة إذا كُسيَ غيرها من أهل الصلاح".

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السرج، كأشباه الرِّحال، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات، لو كانت وراءكم أمّة من الأمم لخدمنَ نساؤكم نساءَهم كما يخْدِمْنَكم نساءُ الأمم قبلكم» رواه أحمد في مسنده والطبراني في الثلاثة ورجال أحمد رجال الصحيح قاله الهيثمي في مجمع الزوائد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن من أشراط الساعة «..وتظهر ثيابٌ تلبسها نساءٌ كاسيات عاريات... قال أبو هريرة

أكذاك يا عبدَ الله بنَ مسعود سمعتَه من حِبي صلى الله عليه وسلم قال: نعم وربِّ الكعبة...».

وقال صلى الله عليه وسلم «خير نسائكم الودود، الولود، المواتية، المواسية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات، لا يدخلن الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم» والغراب الأعصم هو أحمر النِّقار والرجلين، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء المتبرجات المتخيلات، لأن هذا الوصف في الغربان قليل.

فيا لِله هل بقي عندكِ بعد هذا كله حيرة أو تردد عن الإقلاع والبراءة الكاملة من كبيرة التبرج وعواقبها الوخيمة.. وهل لازلتِ تقدِّمين رِجْلا وتؤخرين أخرى نحو الاستقامة وسلوك المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك. أخيتي: حياءك فإنه إيمانُك وحجابَك فإنه حجابٌ لك من النار.

تعريف الجلباب في الشرع

أمّا الجلباب في الاصطلاح الشرعي فليس ثوباً ذا أكمام وأكتاف وخاصرة، وليس درعاً يلبس فوق درع آخر كيفما اتفق - وإلا كان كل كاسية عارية محجبة. إنما هو مُلاءة تلتحف بها المرأة فوق ثيابها تستر به جميع بدنها، وثيابها، وزينتها، من رأسها إلى أخمص قدميها، وهاكِ الدليل القاطع على هذا من السنة، وذلك عندما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء المؤمنين بأن يشهدن صلاة العيد فقد روى البخاري ومسلم عن أم عطية رضي الله عنها قالت: «قلتُ يارسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب، قال لتُلبسْها أختُها من جلبابها».

فلو كان الجلباب ثوباً ذا أكمام وأكتاف لاستحال أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أم عطية أو غيرها من الصحابيات الجليلات أن تُلبس أختَها منه، ولكان ذلك من التكليف بما لايطاق.. أمّا هذا الثوب الذي ترتديه بعض نساء عصرنا هذا؛ لم يبق فيه من الجلباب الشرعي والعباءة سوى الأحرف التي سرقوها من تيك الأولى العالية الشامخة، تلك التي طالما رفعتِها على رأسك تاجاً لعزك، وعنواناً لمجدك، وفخراً لك بين الأمم على مر الأجيال.

لاجَرَم- أخيتي- أنكِ تعلمين أن هذا الثوب أو الفستان الأسود الذي كنتِ ترفضينه من قبل بشدة قبل أن يسموه لك عباءة- فرنسية ومغربية وعمانية- وقبل أن.. وقبل أن... تعلمين- دون ريب- أنه ذريعة محققة لإسقاط الحجاب كلية!..

أجل، تعلمين أن هذه العباءات المزيفة ذريعة أكيدة لأهدافهم الدنيئة، وقد رأيتِ بنفسك كيف وسعوا أكمامه حتى ما إذا جئتِ لإتمام الصفقة - الخاسرة - وما إن رفعتِ يدك لإعطاء ذلك البائع الجشع نقوداً - يا لِله - ثمناً باهظاً لإنقاص سترك، حتى انكَشفتْ ذراعك إلى المرفق... وربما زركشوها وربما.. وربما.. ورأيتِ كيف أخذتْ يدُ التخريب الآثمة في تضييق ذلك الثوب، وتشريحه من هنا وهناك، وتزيينه حتى صار بعض مايلبس في البيوت أقلّ فتنة مماتلبسين في السوق، ثم تحسبين أنك على شيء، وأن لك حجة!

وماذا عن عباءة الكتف؟

وعلى هذا فالخروج بهذه الثياب محرم كما بين أهل العلم، تتجاذبه أسباب التحريم من طرائق مختلفة:

- منها مخالفة هذا الثوب قول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ (الأحزاب ٥٩)، وكما هو مقرر عند أهل اللغة أن استعمال الحرف "على" - وهو من حروف المعاني - يفيد العلو، وأعلى الجسد هو الرأس وليس الكتف.. قال ابن عباس رضي الله عنهما عند هذه الآية من سورة الأحزاب: "أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة".
- ولأن الوسائل لها أحكام المقاصد والغايات، فكل ما كان ذريعة إلى حرام فهو حرام كما هو محل

اتفاق عند أهل العلم سلفاً وخلفاً وكما أفتى بحرمته العلماء!!

- ثم لإظهاره مفاتن جسد المرأة وأناقتها، ولفت الأنظار إليها، ووصفه لأعضائها، مما أمر الله بستره من الزينة قال تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ (النور ٣١)

- ولمشابهته طريقة لِبس الرجال ثيابهم، وأرديتهم، وربما ظهر الترجل في من يرتدينه في المِشية والحركات، وقد لعن الله المرأة تلبس لِبسة الرجل، وصحَّ «أن الله يبغض المرأة الرَّجِلة» أي المتشبهة بالرجال.

- ولأن هذا الثوب الذي صار يُسمّى عباءة مخالف أيضا في صفته للجلباب الشرعي؛ لحديث أم عطية رضي الله عنها المتفق على صحته الذي قدّمناه آنفاً «قالت: قلتُ يارسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب، قال لتُلبسْها أختُها من جلبابها» إذن فيكف يكون هذا الثوب جلباباً بأي حال من الأحوال؟!

بل كيف يكون الخمار؟

قالت عائشة رضي الله عنها: «يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل، لمّا نزلتْ ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (النور ٣١)، شققن مرُطَهن فاختمرن بها» رواه البخاري، قال الحافظ ابن حجر: قولها «فاختمرن» أي غطّين وجوهَهن!

وعن أم علقمة قالت «رأيتُ حفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر دخلتْ على عائشة رضي الله عنها وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها، فشقته عائشة عليها، وقالت أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها» رواه ابن سعد والإمام مالك بمثله في الموطأ وغيرهما.

وهذا الذي يقتضيه قوله تعالى ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ (النور ٣١)، فإن الخمار إذا ضُرب على الجيب غطى الوجه ضرورة.

أرأيتَكِ يا أخيّتي لو أبصرتْكِ عائشة رضي الله عنها وأنتِ على هذا النقاب الفتان والتبرج السافر، وهذه العيون الكحيلة

التي لايقر لها قرار.. هذه الحالة التي لاترضي الله عز وجل ماذا تقول أم المؤمنين وماذا تصنع!!

وقد اتفق أهل العلم على وجوب ستر الوجه عند خشية الفتنة، وإن لم يكن هذا زمان الفتن فأيَّ زمان؟ هذا مع أن تاريخ الإسلام الطويل شاهدٌ على أن نساء المؤمنين بقين على مر العصور على الحجاب وستر الوجه كما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، منذ عهد النبوة في القرون الثلاثة المفضلة وما بعدها، وحتى في عصور الضعف إلى أن استَشرتْ سموم الغزو الثقافي، وحركات التغريب ودعايات إفساد المرأة والمجتمع في بلاد المسلمين في القرن الفائت..

وهكذا لم يكن الخلاف الفقهي في حكم غطاء الوجه يوماً من الأيام داعية للمؤمنات أن يخرجن سافرات الوجوه.. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: "لم تزل عادة النساء قديماً وحديثاً أن يسترن وجوههن عن الأجانب"، وقال أبو حامد الغزالي في الإحياء: "لم يزل الرجال على مر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن متنقبات"، أي بالنقاب الشرعي لا نقاب الفتنة المذكور آنفا.

هذا وإن تغطية الوجه فعل أمهات المؤمنين قولاً واحداً.. وهو الأفضل والأكمل عند الجميع قولاً واحداً.. اللهم إلا لُعاعة من العلَمانيين الذين يقولون بأفضلية كشفِ الوجه وكشفِ ماوراءه - إن أمكن لهم ذلك - بل بوجوبه قولاً واحداً - لا خلافَ فيه - عندهم وعند مَن وراءَهم من أعداء الملة من اليهود والنصارى وسائر أهل الشرك ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾(النساء ٨٤).

وهكذا فلم تَعُدْ القضية خلافاً فقهياً فرعياً يقرر في مطولات الفقه المقارن، ولكنه استحال إلى وجه من وجوه الصراع بين الحق والباطل في معركة السفور والحجاب الفاصلة. فلا ينبغي أن تَخْفَ هذه المكيدة على بعض الطيبين والطيبات فيضعون الأمر في غير إطاره الصحيح!!

وثلاث أخريات

وثلاث منهيات - فوق ماسبق - يتم بهن الحديث عن أوصاف اللباس الشرعي للمرأة، **الأول**: أن لايكون معطراً أو مبخراً.. فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة استعطرت فمرتْ على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية». رواه النسائي وأحمد وأبوداود والترمذي وغيرهم. ويقوم **الثاني والثالث** بنقض الركيزتين اللتين تقوم عليهما فكرة الموضة التي سيطرت على كثير من العقول.. يتضح ذلك مع شيء من التأمل - أتركها دون تعليق:

أن لايكون اللباس مشابهاً لزي الكافرات فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن التشبه بالكفار فقال: «من تشبه بقوم فهو منهم». وأن لايكون لباس شهرة، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه ناراً» أخرجه أبوداوود وابن ماجه والنسائي وأحمد.. قال ابن الأثير: المراد أن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم فيرفع الناس إليه أبصارهم ويختال عليهم بالعجب والتكبر.

يُخبِّئن أطراف البنان من التقى

وهذه صورة أدبية رفيعة - بما تحمله المفردة من بعد لغوي واجتماعي - يحييها لنا في ديوان العرب وخِزانتهم اللغوية فرسان الكلمة ومنهم ابن نمير الثقفي وقد أثنى على زينب ومن معها من النسوة بكمال التُّقى والستر في أبيات هي غاية في الذوق فقال:

ولم ترعيني مثلَ سرب رأيتُه تضوّعَ ... خرجنَ من التنعيم معتجراتِ

مسكاً بطنُ نَعمان أن مشتْ ... به زينب في نسوة خَفِراتِ

ولما رأت ركب النميري أعرضتْ ... وكنّ مِنَ انْ يلفينه حذراتِ

دعتْ نسوةً شُمّ العرانين بُدّنا ... نواعم لا شعثاً ولاغبراتِ

فأدْنَين لما قمن يحجبن دونها ... حجاباً من القسِّيِّ والحِبَرَاتِ

يخُبِّئنَ أطرافَ البنان من التقى ... ويخرجنَ جنح الليل مختمراتِ

فهن معتجرات أي ساترات لوجوههن، وهن خَفِرات أي شديدات الحياء ويُعرضن عن مواطن الفتنة ويحذرنها، وأنهن مع ذلك شُمُّ العرانين أي ذوات شَمَم واعتزاز بحجابهن، حريصات على إدنائه، وعلى إخفاء زينتهن حتى أطراف البنان وإنما ذلك لتقواهن، وبالرغم من أن الليل قد مد جناحه عليهن بالستر إلا أن ذلك لم يخول لهن ترك تخمير وجوههن.

وعلى ما في القصة من الملاحة وما في الأبيات من الرِّقة والتشويق إلا إنها ذاتُ شأن في فهم الدلالة اللغوية والشرعية للألفاظ التي وردت فيما سبق من النصوص. وفي هذه الأبيات من المعاني السامية مافيها، ولا غرو وشاعرنا هذا من الشعراء الذين نشأوا في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية وتشبعوا بالقيم والمقاييس التي عظَّمها القرآن وحث عليها ميراث النبوة.

ولكن ماذا لو قلتُ لكِ إن النساء في الجاهلية كنّ يُحمدن على هذه القيم التي أقرها الإسلام بل رفعها إلى أعلى الدرجات. فقد وصفها امرؤ القيس - وهو الجاهلي- بأنها:

كبيضةِ خِدْرٍ لايرامُ خباؤُها

وقال الربيع بن زياد العبسي في رثائه لمالك بن زهير:

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ فليأتِ ساحتنا بوجهِ نهارِ
يجد النساء حواسراً يَندُبْنَه يلطمنَ أوجههنّ بالأسحارِ
قد كنّ يَخْبأنَ الوجوهَ تستراً فاليوم حين برزنَ للنُّظّارِ

على أن الإسلام نهى عن النياحة على الميت ولطْم الوجوه إلا أنهنّ - لولا ما أذهلهن من هول المصيبة وغطّى على عقولهن - كنّ متسترات يَخْبأنَ وجوههن عن النُّظّار.

وقال النابغة الذبياني في المتجردة - امرأة ملك الحيرة النعمان بن المنذر:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

فهي على مكانتها الاجتماعية الرفيعة كانت تنتصف وتغطي وجهها وعندما سقط نصيفها، لارغبة منها ولاتهتكا، صارت تتقي أعين الرجال بيدها ريثما تعيده إلى وجهها. وهذا كله قبل نزول سورة النور والأحزاب وما ذلك إلا لأن هذه الأصول والقيم التي جاء بها ديننا العظيم فطرة مركوزة في الطبائع السليمة و النفوس الحرة.

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الروم ٣٠).

غربيات لا يبغين بالإسلام بدلا!!

أختاه.. وأنت تتراجعين إلى الوراء وتنزلين عن مكانك العالي، ألم يخطرلك ببال أيُّ امرأة أنتِ؟! وأيُّ دين تنتسبين إليه؟!! ألم تسمعي عن تلك النصرانية التي أروي لك قِصتَها من تجرِبتي في الغربة دون واسطة وقد كنا في رحلة دعوية وترفيهية في مدينة سياتل، وما إن غربتْ شمس ذلك اليوم إلا وقد جاءت البشائر بإسلامها وانشراح صدرها لدين الإسلام وارتدائها للحجاب.

وعندما سُئلتْ كيف تم ذلك؟ قالت: إن سبب اعتناقها للإسلام هو مارأته من مظاهر الحشمة وخلق الحياء بين المسلمات، ومِن تَركهن للاختلاط والتبرج الذي دمر قيم الأسرة والمجتمع في بلادهم، وما رأت في ذلك من البهاء والجمال، وكيف انجذبت إلى نداء الروح الذي تحرك في سويدائها حين اصطف المسلمون للصلاة خاشعين متذللين لله على الجانب الآخر في مشهد هو غايةٌ في التأثير..

أما الشيء المثير حقا في هذه الحادثة، أن أولئك النسوة اللائي كُنّ سببا لهدايتها، كنّ كلهنّ من الأمريكيات اللاتي اخترن الإسلام على ماسواه من الأديان وتعبدن لله لاسواه

وعضضن بالنواجذ على مقتضى لا إله إلا الله.. واقتدينَ بأمهات المؤمنين، فلبسنَ الحجاب - كما أمر الله - دون أن يُرى من إحداهن شيء!!

بل ألم تسمعي عن تلك المرأة النصرانية الأخرى التي رأت فتيات مسلمات يمشين في الطريق مُتوجاتٍ بوقار الحشمة والحجاب؛ فحرك مرآهنّ في نفسها ساكناً! وبعد أن سَألتْ عن خبرهن وقيل لها إنهن يَدِنَّ بالإسلام، اتجهت إلى دراسة هذا الدين حتى انتهي بها المطاف إلى اعتناقها للإسلام!! إن هذا المشهد الذي قد يظنه البعض عاديا وغير مؤثر، قد كان له الدور الأول في إنقاذ نفس إنسان من النار وجريان مثل أجر هذه الأخت المهتدية لهاتيك الفتيات المحجبات وهن غافلات لايدرين عن أمرها شيئاً.

وقصة أخرى قد تكون الأغرب أهديها إلى كل من حدثتْها نفسُها بخلع حجابها وإلقائه وراءها ظِهريّا: عن هذه التي قررتْ ذاتَ مرة - وهي غير المسلمة - أن ترتدي خماراً ورداءً وأن تدخل على زميلاتها المسلمات تمازحهن- فقد حدثتْها نفسها بذلك- بمشاعر غريبة لا تدري من أين جاءتها الفكرة.

ثم أقبلتْ عليهن محجبة لأول مرة وقمنَ إليها في دهشة وذهول يعانقنها ويهنئنها.. وفي تلك الساعة- وتلك الساعة فقط- إذا بالمرأة تجد الإيمان يتسلل إلى قلبها ويعمر فؤادها بحلاوته حتى شرِقتْ بدموعها باكية لبكائهن فما خلعتْ خمارها بعد ذلك اليوم قط!

أما مشاعر أولئك المسلمات الجديدات بعد ذلك وسعادتهن وراحتهن فلاتسألي!! هذه مجموعة من الغربيات اللواتي ذقن طعم الإيمان ولذة الاستقامة على هذا الدين يقلن واحدة تلو الأخرى:

- زادني الحجاب جمالاً.
- الحجاب إعلان عام بالالتزام.
- الحجاب شعار تحرر.
- الحجاب يوفر لي مزيداً من الحماية.
- عندما أسلمتُ أصررتُ على ارتداء الحجاب بالكامل .. من الرأس إلى القدم.
- الحجاب جزء مني، من كياني، فقد ارتديته قبيل إسلامي لإحساسي أنني أحترم نفسي وأنا أرتديه.

وأخريات منهن يهتفنَ تباعاً:

- شعرتُ أنني كنت دائماً مسلمة.
- اكتسبتُ من الإسلام القوة لمواجهة الناس.
- أجاب الإسلام عن جميع تساؤلاتي.
- وجدت في الإسلام ضالتي وعلاج أزمتي.
- قبل إسلامي كنتُ لا شيء، والأجدر باسمي - قبل إسلامي - أن يكون "لاشيء".
- أصبح هدفي الأسمى الدفاع عن هذا الدين.
- صارت الصلاةُ ملاذي والسجود راحتي وسكينتي.
- فرحتي لا تُوصف.
- شدتني العلاقة المباشرة بين العبد وربه.
- المرأة الغربية ليست متحررة كما قد تتوهم المسلمة.
- المرأة الغربية لا تعرف ماذا تريد.
- أُحسُّ في قلبي رقة لم أعهدها قبل إسلامي.
- تعرفتُ على وحدانية الله فبكيت.
- نطقتُ بالشهادتين فسرتْ في عروقي قوة خارقة.
- الإسلام هو الذي أعطاني الأمان.
- اكتشفت كنوزاً كنتُ أجهلها.

❖ حياتي بدأتْ عندما أسلمت، وسنواتُ عمري الماضية لا قيمة لها.

ومن الكلمات التي تعبر عن الفرح الغامر الذي يستنطق الدمعة من الجفن، ومن هذا الذي تفيض به قلوب الداخلات في دين الله كلمات اليونانية "تيريز" تصرخ حتى إن صوتها ليكاد أن يصل إلى نجوم السماء الزهر: "لا أريد أن أتحدث، ففرحي بالإسلام لا يوصف أبداً، ولو كتبتم كتباً ومجلدات لن تكفي لوصف شعوري وسعادتي، أنا مسلمة، مسلمة، مسلمة، قولوا لكل الناس إنني مسلمة وسعيدة بإسلامي، قولوا لهم عَبْر وسائل الإعلام كلها: "تيريز اليونانية أصبحت خديجة: بدينها، بلباسها، بأعمالها، بأفكارها".

الإسلام هو الذي أعطاني الأمان

أما إذا كنتِ ممن نزعنَ الحجاب أو تخلين عن بعضه أو فقدن روحه أو سراً من أسراره لأنهن فقدنَ قبله شيئاً آخر!!.. فعسى أن أكتفي بذكر مثلين من ثلة أولئك المهتديات اللاتي لا يَبغينَ بالإسلام بدلا.. وكما قيل في الأمثال: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق..!!

هذه إحداهن تقول وقد صار اسمها "فاطمة يوسف": "كنتُ قبل إسلامي لا أجد نكهة لحياتي، أما الحياء فيعتبر رجعية عندنا وتأخراً وعُقداً وأمراضاً نفسية. لم أسمع في السابق أي شيء عن الإسلام، ولم أكن أدر ماهو، ومن هم أتباعه. قرأتُ كتاباً عن حقوق المرأة المسلمة لأكتشف الكثير والكثير من معاناتنا نحن النساء في ظل قوانين تستعبد المرأة وتحتقرها بعكس العيش الكريم الذي يوفره الإسلام للمرأة.

الإسلام يصون المرأة ويُلزم الرجلَ برعايتها وحسنِ معاشرتها والإنفاق عليها ويحاسبه على التقصير في حقها. قلتُ في نفسي لماذا لا تكون لي تلك الحقوق في مقابل واجبات محددة لا تفوق طاقتي ولا ترهقني ولا تقتل أنوثتي وكرامتي؟ تساءلتُ لماذا أُمتهنُ وينظر إليّ على أنني رسم جميل، الغاية منه

المتعة الرخيصة والهوان؟ لماذا لا أكون سيدة محترمة في قرارة نفسي وأمام الناس؟.. لماذا لا أكون مسلمة؟

وبعد تَكرار زيارتي للمسجد تعرفتُ أكثر على الإسلام، واقتنعت به كثيراً، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي نطقتُ فيه قائلة (وسط بكاء الفرح في أعين المسلمات من حولي): أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وتلقيتُ التهاني منهن والدعاء بالثبات.

الحمد لله ملكتُ حقوقي بعد أن أصبحتُ امرأة مسلمة كَفَلَ لها دينُها العيش الكريم الشريف العفيف، وقد حفظتُ سبعة أجزاء من القرآن الكريم حتى الآن. الإسلام هو الذي أعطاني الأمان وحب الخير للجميع؛ فيالخسران من لم يذق حلاوة الإيمان التي تعمر القلوب المؤمنة... فإني وجدتُ الإسلام هو السعادة الحقيقية"(٥).

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزمر ٢٢).

المرأة الغربية لا تعرف ماذا تريد!!

وكذلك كانت "باربرا ماروز"، ولكنها الآن إنسان آخر: "اسمي من الآن فاطمة.. تيمنا باسم بنت الرسول صلى الله عليه وسلم!.. كنتُ أعيش حياة قلقة، بلا طموح ولا هدف، ولا أجد لها قيمة، وأعيش دون مثل أعلى.. وذاتَ مرة، وقع بيدي كتاب عن الدين الإسلامي، أخذتُ أقرأ مافيه. كان عن العقيدة الإسلامية والمسجد والصلاة والقرآن الكريم، فصرتُ أبحثُ عن القرآن الكريم..

وبعد أن وجدتُ القرآن وجدتُ حياتي الحقيقية كلها، عشتُ معه أسأل عما لا أفهمه أصدقائي المسلمين، كنتُ كلما قرأتُ عن الإسلام أكثر تعمق إحساسي بعظمة هذا الدين، شدني إلى الإسلام سماحة أهله، ودعوته إلى المساواة بين الناس، ودعوته إلى الفضيلة والعفاف، وحين نطقتُ بالشهادتين لم أملِكْ نفسي من شدة البكاء، أحسستُ بالدموع الغزيرة تغسل قلبي من الآثام الماضية، وتطهرني من جميع أخطائي وذنوبي.

لقد قرأتُ الكثير عن النبيّ صلى الله عليه وسلم وعن ابنته فاطمة رضي الله عنها، وتمنيتُ أن يصبح اسمي "فاطمة" حباً لها، وحتى أعيش شرف هذا الاسم وأخلاق صاحبته، ولقد ملأ الإسلامُ نفسي بالسعادة التي لا تعبر عنها الكلمات، ومما زاد إيماني بهذا الدين تقديرُه دور المرأة في الحياة، وتوقيرُ المسلمين أماكنَ العبادة، وخشوعُهم في صلواتهم بين يدي الله.

أما المرأة الغربية فهي تعيش بدون هدف، ولا تعرف ماذا تريد، وتشعر بتعاسة بالغة، وهي مهانة على الدوام، بالرغم من مظهرها الذي يوحي بأنها كريمة، ويكفي أنها مطمع للذئاب المفترسة، وهي أيضا لا تصلح لأن تكون أُمّاً ناجحة، ولا لتكوين أسرة، لانشغالها واهتمامها بأمور أخرى تافهة، لكنها تراها غاية في الأهمية"[٧].

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾(الزمر ٢٣).

شمس الله تشرق على الغرب

ويطيب لي هنا أن أُثَلثَ بثالثة الأثافي، قصة العالمة الألمانية زيغريد هونكه صاحبة الكتاب الشهير "شمس العرب تسطع على الغرب" والذي بينتْ فيه، كما هو معلوم، فضل حضارة المسلمين وتمدنهم على الغرب ونهضته الأخيرة بعد عصور الظلام التي غطتْ أوروبا في غطيطها قرونا طويلة.. زيغريد هونكه التي تَمَلّك حبُّ العرب وثقافتِهم ومجدهم شَغاف قلبها بما لا يكاد يكون له مثيل بين الأوربيين، وأحبتْ الإسلام لحبها لهم، ولعلمها بأنه هو الذي جعلهم بين الأمم خير أمة أخرجت للناس، وقد حدثني بخبرها الدكتور علي الدفاّع عالم الرياضيات المعروف في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران بنفسه مشافهة قال:

كنت في أحد المؤتمرات العلمية في أوربا وقد تحدثتُ إلى الدكتورة هونكه - وكنت مطلعاً على كتاباتها وإنصافها لعقيدتنا وحضارتنا - ورأيتُها وقد كبرتْ سِنُّها قلت لها: إن لي حلماً جميلاً أرجو له أن يتحقق!! فقالت لي: وما هذا الحلم؟ قال فأجبتُها: بأن حياتك العلمية والثقافية الطويلة في الدفاع عن مآثر العرب والمسلمين وتاريخهم أرجو أن يكون لهذه الحياة

الحافلة وهذه السيرة العلمية المميزة تكملة جميلة وأن تختم بأحسن ختام وذاك بأن تدخلي في الإسلام!! قال محدثي: وقد رأيتُ عينيها اغرورقتا بالدموع ثم قالت لي بالعربية الفصيحة: "بيني وبين ذلك قاب قوسين أو أدنى" قال فما مر عام أو أكثر حتى سمعتُ خبر اعتناقها للإسلام وسمعتُ خبر وفاتها بعد ذلك بمدة رحمها الله.. اهـ.

وعندما سُئلتْ في أحد المؤتمرات الإسلامية ما نصيحتها للمرأة العربية التي تريد طي الماضي وخلع الحجاب، قالت زيغريد هونكه: "..لاينبغي لها أن تتخذ المرأة الأوربية أو الأمريكية أو الروسية قدوة تحتذيها، أو أن تهتدي بفكر عقدي مهما كان مصدره، لأن في ذلك تمكيناً جديداً للفكر الدخيل المؤدي إلى فقدها مقومات شخصيتها، وإنما ينبغي عليها أن تستمسك بهدي الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح، اللاتي عشنه منطلقات من قانون الفطرة التي فُطرنَ عليها، وأن تلتمس العربيةُ لديهن المعايير والقيم التي عشن وفقاً لها، وأن تكيف تلك المعايير والقيم مع متطلبات العصر الضرورية وأن تضع نصب عينيها رسالتها

الخطيرة الممثلة في كونها أم جيل الغد العربي، الذي يجب أن ينشأ عصامياً يعتمد على نفسه"[٦].

ومثلها قالت الكاتبة الأمريكية هيلسيان ستانسبري بعد أن قضت في إحدى العواصم العربية عدداً من الأسابيع، وعندما عادت إلى بلادها لم يكن ذلك ليمنعها من أن تدلي بشهادتها وتمحض النصح حيث تقول: "إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيّد الفتاة والشاب في حدود المعقول. وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربي والأمريكي، فعندكم أخلاق موروثة تحتِّم تقييدَ المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية، التي تهدم اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا.. امنعوا الاختلاط، وقيّدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا"[٨].

حسرات وعبرات!!

وإن مما أخشاه عليك أيتها المؤمنة أن تكوني في مثل حال هذه المرأة المسلمة وحسرتها وهي تقول: "كنتُ شابة يافعة أحب الحياة وأكره ذكر الموت.. أغادر مجلس رفيقاتي متى ما تتحدث إحداهن عن حادث أليم أو مرض عضال!! وكنت أتابع أخبار الموضة بشغف وشوق، فلا يفوتني منها خبر.. حتى عباءتي لم تتركها الموضة على حالها، فقد أغراني حب الجديد بأن أتفنن في طريقة لبسي لها، فتراني حيناً أضعها على كتفي لا على رأسي؛ لأجل أن أظهر زينتي وشيئا من أناقتي.

أما نقابي بل قل نقاب الفتنة فقد بدأتُ ألبسه تمشياً مع الموضة وتحججاً واهياً بعدم الرؤية، عيناي أظهرتهما كحيلتين من خلال فتحات نقابي، ومضيت أتابع عيونَ من حولي وتحملني غفلتي وسذاجتي على أن أزهو فرحاً كلما رأيت أعين المارة ترمقني بإعجاب أو استغراب!

وذاتَ مرة سافرتُ إلى بلد غربي ولم أكتف بتجميل حجابي وحسب، ولكنني خلعته ورميتُ به في مقعد الطائرة التي أقلتني مسافرة! وفي تلك البلاد شد بصري منظر امرأة

متحجبة لايظهر منها شيء، عباءة طويلة فضفاضة، خمار طويل مسدل.. اقتربتُ منها فسمعتها تتكلم بلهجة أجنبية صرفة!! تعجبت وتساءلت أتراها امرأة عربية مقيمة اعتادت لغة القوم وتحدثتْ بهذه الطلاقة والقدرة! فضولي دفعني لأن أطرح عليها سؤالا! أعربية أنتِ؟ ...لا بل أنا كندية مسلمة دخلتُ الإسلام منذ سنة ونصف ومن حينها وأنا كما ترين أرتدي حجابي وأسير وعزتي وفخري بديني الجديد يسيران معي...!!

وضعتُ أنا يدي على رأسي بحثتُ عن حجابي! لم أجده تذكرتُ أني رميتُ به على مقعد الطائرة ردَّدتُ كلمات ساخنة بيني وبين نفسي.. ياالله.. يارب.. أأجنبية لم تعرفك ولم تؤمن بك إلا منذ سنة ونصف وأنا.. أنا جدي مسلم وأبي مسلم وأمي وأخي بل قومي كلهم مسلمون.. نشأتُ على طاعتك وتربيت في بيت يؤمن أهله بك فكيف أتخلى بهذه السهولة عن حجابي وتتمسك هي به!!"(٩).

فتاة فرنسية والدرس القاسي

واسمحي لي أخية أن أقتطع من وقتك قليلاً لأحدثك عن قصة تلك الفتاة التي وُلدتْ ونشأت في بلاد الإسلام ولكنها ماعرفت هذا الدين حيناً من الدهر، فأتركها تتحدث عن نفسها بنفسها: "عندما تزوجتُ،ذهبتُ مع زوجي إلى فرنسا لقضاء ما يسمى بشهر العسل، وكان مما لفت نظري هناك، أنني عندما ذهبت للفاتيكان في روما وأردت دخول المتحف البابوي أجبروني على ارتداء لباس طويل على الباب.. هكذا يحترمون ديانتهم المحرفة، وهنا تساءلت بصوت خافت: فما بالنا نحن لا نحترم ديننا؟!

وفي أوج سعادتي الدنيوية المزيفة قلتُ لزوجي أريد أن أصلي شكرا لله على نعمته، فأجابني: افعلي ما تريدين، فهذه حرية شخصية!! فأحضرتُ معي ذات مرة ملابس طويلة وغطاء للرأس ودخلتُ المسجد الكبير بباريس فأديت الصلاة، وعلى باب المسجد - وقد هممتُ بالانصراف - أزحتُ غطاء الرأس، وخلعتُ الملابس الطويلة، وهممتُ أن أضعها في الحقيبة وهنا كانت المفاجأة..!!

اقتربتْ مني فتاة فرنسية ذات عيون زرقاء لن أنساها طول عمري، ترتدي الحجاب.. أمسكتْ يدي برفق وربتتْ على كتفي، وقالت بصوت منخفض: لماذا تخلعين الحجاب؟ ألا تعلمين أنه أمر الله!!.كنت أستمع إليها في ذهول، والتمستْ مني أن أدخل معها المسجد بضع دقائق، حاولتُ أن أفلتَ منها لكنّ أدبها الجم، وحوارها اللطيف أجبراني على الدخول.

سألتني: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟.. أتفهمين معناها؟؟.. إنها ليست كلمات تقال باللسان، بل لا بد لها من التصديق والعمل..

لقد علمتني هذه الفتاة أقسى درس في الحياة.. اهتز قلبي، وخضعت مشاعري لكلماتها ثم صافحتني قائلة: انصري يا أختي هذا الدين.خرجتُ من المسجد وأنا غارقةٌ في التفكير لا أحس بمن حولي"[١٠]، إلى آخر ماجاء في كلامها.. فالحمد لله فقد كانت هذه الأخت الفرنسية سبباً لهداية هذه المرأة العربية وهي كانت سبباً لتوبة زوجها - بسلاح الدعاء الذي لا يُغلب - وكلاهما صار بعد ذلك داعية إلى الله..

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(الحديد ٢١)

أيُّ امرأة أنتِ بين النساء!!

أختاه.. وإنما سُقتُ لكِ تلك الأدلة وهذه الأمثلة وهي غيض من فيض، وقطرة من بحر، لأقول لكِ ما قاله الله عز وجل في أجل كتاب وأعلى وأحلى كلام: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾(الحديد ١٦).

ألا يا ريحانةَ الفؤاد ويا سليلةَ الأمجاد أولم يقل ربنا: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الحشر ٢١)، بربك هذا جبل على قوته وصلابته خاشع متصدع من خشية الله.. فإلى متى قسوة القلب وجمود العين!! وعينان لاتمسهما النار، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله!!..

ألا إنه آن لكِ أن تعودي إلى ربك وخالقك ورازقك وإلى دينك الذي لن تفلحي إلا بالتمسك به وإلا بالتوبة من سكرة هذه الغفلة المهلكة التي تكاد أن تلقي بك في متاهات الضلالة وفي دروب الغواية... آن لك أن تتجللي بحجابك الكامل - كما

أراده الله - لا (الحجاب) المزوق المزيف الذي تريده باريس وروما وتتلاعب به شياطين الإنس في الشرق والغرب، وقد استحال في نفسه إلى زينة تحتاج إلى حجاب فوقه يستره ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (النساء ٢٧).

وآن لكِ أن تَعودي إلى حيائكِ وإيمانك وتُعيدي ستركِ مع هذا كله سيفاً في وجه الباطل وقد عربد وكاد أن يلقي بكِ في شراك العدو لولا أن الله سلم..

لقد آن لك أن تعلمي أن صرح هذا الباطل الذي أغراك مظهره، وراح ينتفخ حتى أمسى كالبالون الكبير، يوشك أن ينفجر لأدنى شوكة تصيبه من هنا أو هناك.. وإلا فأنتِ تقرئين قول الله عز وجل في محكم التنزيل: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء ٨١)، فإن من عادة الباطل أن يزهق حينما يجيء الحق وتأملي قولَه "وزهق الباطل" ولم يقل "فزهق الباطل" باستعمال الواو بدلا من الفاء التي تفيد التعقيب وذلك - والله أعلم - للدلالة على تزامن النتيجة مع المقدمة دون فاصل زمني بينهما؛ أي أنه بمجرد مجيء الحق يكون الباطل

قد أخذ طريقه إلى الزوال.. وقال تعالى ﴿ في الآية الأخرى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء ١٨).

وآن لك - يا أخيّة - أن تَقْطَعي تلك اليد الآثمة التي همّت بكِ فتسللتْ وامتدت إلى خمارِك وجلبابِك وقطّعتْ أثوابك يمَنة ويَسرة ولم تبق عليك إلا لباساً يظهر أكثر مما يستر والله المستعان!!

فيا شقيقة الرجال ويا مصنع الأبطال.. كوني صخرة صُلبة في جدار الأمة ولاتكوني سهماً في كنانة الأعداء يشدخون به هامة الفضيلة وعالية الكرامة، وإياكِ إياكِ أن يؤتى الإسلام من قِبَلك!

يا درّة الأمس.. والغد!!

أُخوّفكِ بالله الذي يعلم السر وأخفى أن تظني أنّ ماتفعلينه من إنقاص حجابك وحيائك شيئاً فشيئاً يوماً بعد يوم ذكاءً أو فطنة.. ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (هود ٥).

وحذّر الله جل شأنه من سبيل المنافقين والمجرمين وقال عنهم: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة ٩).

وإني أعيذك بالله من ذلك وأذكّرك أن هذا المسلك ظلم لنفسك أولاً وقبل كل شيء، ثم إنه ظلم لأهلك ومجتمعك وأمتك وإعانة على الفساد والإفساد. واعلمي يا أخيّة أن الله عز وجل يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته كما جاء في حديث الصحيحين، ولا إخالك تقدمين على مغامرة مخطورة كهذه خصمك فيها الله جل جلاله الجبار المنتقم!! ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود ١٠٢).

فأعدّي للسؤال جواباً وللجواب صواباً، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، وحَذارِ حَذارِ من نقمة الجبار.. ففي الصحيح المتفق عليه «إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وإن غيرة الله أن يأتي المؤمنُ ما حرم الله عليه».

وإن من أخطر تبعات التبرج والسفور أنه سنة في الإسلام سيئة، عليكِ من وزرها ووزر من تبعكِ فيها إلى يوم القيامة من النساء اللائي مازلنَ في منـزلة حائرة يترددن بين المنـزلتين؛ ومن صغيرات اليوم، أمهات الغد اللاتي صرن ينظرن كيف تفعلين فيقلدن دون أن ينقص من أوزارهن شيئاً، ألا فراقبي الله في نفسك وفيهن فإنه عليكِ قادر، الآن وكلَّ آن ويوم تبلى السرائر، وقد جاء في التنـزيل ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (النحل ٢٥).

ألا وإنّ كلَّ ما هو محرم على البالغة، لاينبغي أن تُنشّأ عليه الصبيّة ولا تقولي إنها صغيرة فإنها غدا كبيرة!!

يا دُرّة حُفظتْ بالأمس غاليةً ... واليوم يبغونها للهو والطربِ
يا حُرة قد أرادوا جعلها أمَةً ... غربيّة العقل، لكنّ اسمها عربي
هل يستوي من رسول الله قائده ... دوماً، وآخر هاديه أبو لهبِ؟!

وأين من كانت الزهراء أسوتَها ممن تقفتْ خطى حمالة الحطب
أختاه لستِ ببنتٍ لا جذور لها ولست مقطوعة مجهولة النسبِ
أنت ابنة العرب والإسلام عشتِ به في حضن أطهر أم من أعز أبِ
فلا تبالي بما يلقون من شُبهٍ وعندك العقل إن تدعيه يستجبِ
سليه: من أنا؟ ما أهلي؟ لمن نسبي؟ للغرب أم أنا للإسلام والعربِ؟
لمن ولائي؟ لمن حبي؟ لمن عملي؟ لله أم لدعاة الإثم والكذب؟

حول تحرير المرأة

لقد زعموا- ومنهم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا- أنهم يريدون تحريرك، فأسألك بالله أحقا أنك رقيق تباع وتشترى في سوق النخاسة؟ أخبريني منذ متى وأنت كذلك؟!

حاشا وكلا، ولكنهم يريدون تحريرك من حريتك الحقة بعد إخراجك من دينك وبيتك وعفافك من أجل أن تكوني رقيقاً لشهواتهم الدنيئة وقد سمّوها بغير اسمها، ومن أجل أن تمسي وتصبحي مطمعاً لقلوبهم المريضة الفاسدة، ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾(النساء ٢٧).

ولا أحسب القوم جاءوا بجديد فطريق الشيطان واحدة وخطواته لم تتغير قيد أنملة...

وما إثارة نعرة العداء بين الجنسين إلا لوثة من لوثاتهم التي نقلوها عن سادتهم في الضلالة من الغربيين، ولها أصل في التوراة المحرفة ثم نقلتها يد التحريف إلى الإنجيل أيضاً، فيما طور بعد بما سُمِّي بـ"النسوية" Feminism.

ويبدو- مع شيء من التأمل- أن فكرة الصراع هذه ضاربة الجذور في الفكر الغربي، فمن فكرة الصراع بين الدين والعلم مع نهاية العصور الوسطى.. إلى ما جاءت به النظرية الداروينية من الصراع بين الأنواع.. ثم الصراع الطبقي في الشيوعية الماركسية، وقد كان ممن دعا إلى حركة النسوية أنصار النظرية الماركسية هذه، وعملوا على توطيد أصولها، واعتبروها البعد الاجتماعي لتحقيق نظريتهم الشاملة في حربهم على الدين والقيم والفطرة. ثم كان ماذا ؟؟ الإجابة معروفة!!

وبالمناسبة- ومن الطرافة بمكان- فإن من المعلوم أن جُل مؤسسي الحركة (النسوية) والكثرة الكاثرة من الناشطين لها ليسوا من النساء!!.. هل هذه مفاجئة؟؟

كلا، ولكنها ظاهرة جديرة بالنظر والتأمل، وربما تعين على الوصول إلى إجابة شافية عن أهداف أولئك (العَلمانيين) ممن يحرك عجلة التغيير إلى الأمام- إن استطاعوا- أو هكذا يقولون!

ومن تتبع تاريخ هذه الحركة "النسوية" في المجتمعات الأوروبية والأمريكية ومآلتْ إليه- وهي الآن في طريقها إلى

الأفول- تالله يفتأُ يذكر نعمة الهداية إلى الحنيفية السمحة.. وقد وظفوها -وهي الآن عندنا أيضاً- لذر الرماد في العيون لإخفاء أهدافهم الخبيثة من جانب، ولإشعال مشاعر الحقد عند المرأة بدعوى أنها في صراع مع الرجل؛ لتفكيك وخلخلة روابط الأسرة والمجتمع من جانب آخر، على مبدئهم إياه "فرق تسد"، وكذبوا وصدق الله ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (الأنفال ٤٦).

ودعواهم هذه نقض لأوثق عرى الإيمان- ألا وهي عروة الولاء والبراء وتلك أصل من أصول عقيدتنا وأنى لهم! قال تعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة ٧١)، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (الأنفال ٧٣)، بل جاء في سورة الروم ما هو أعظم دستور في التاريخ لطبيعة العَلاقة بين الرجل والمرأة في سياق الامتنان على عباده، وفي لحاقه التفكر في جليل آيات الرحمن قال جل وعز: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم ٢١)، فهي عَلاقةُ مودةٍ للأبد، ورحمةٌ لا عِداء ونكد!! وقال صلى الله عليه وسلم «النساء شقائق الرجال»،

وكان من خُطبته في حجة الوداع ومن آخر كلامه على فراش الموت «ألا واستوصوا بالنساء خيراً..» - بأبي وأمي هو - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قالها يوم كان الغرب - وبقي كذلك قروناً عديدة مديدة - يقيم المؤتمرات حول هل للمرأة روح أم لا؟ وهل المرأة إنسان أم شيطان؟

وعندنا نحن المسلمين قُلامَةُ ظُفْرِ امرأة مؤمنة واحدة خير من ملء الأرض من الرجال الكفرة الفجرة.. وإنما الصراع منذ الأزل بين أهل الحق وأهل الباطل وليس كما يقولون في صحافتهم وإعلامهم، فلا تنطلِ عليكِ هذه الحيلة الماكرة، فإنّ وراء الأَكَمة ما وراءها!!

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ (إبراهيم ٤٦-٤٧).

النسوية.. التحرير..
ونداء الفطرة المحطمة!!

يقول د عبد الله الخاطر عن واحدة من زعماء الحركة النسوية والمساواة بين الجنسين المشار إليها آنفا: إن نسيتُ فلن أنسَ خلال إقامتي في بريطانيا صورتين متناقضتين غاية التناقض لمرأة مشهورة تعمل في المحاماة.

الصورة الأولى: توفرتْ في هذه المرأة الصفات التالية: قوة البنية، ذرابة اللسان، الحماسة لما تؤمن به وتعتقده، النشاط الدائب..فمرة تقرأ مقالاتها في الصحف، ومرة أخرى تسمعها تتحدث في التلفاز وتقارع فحول الرجال الحجة بالحجة.. ومرة ثالثة تستمع إليها في المحاكم تدافع عن القضية التي نذرت نفسها من أجلها.

وهنا قد يُظن أنها محامية لشركة من الشركات أو لمؤسسة من المؤسسات، كلا! وإنما عملها الوحيد الدفاع عن حقوق المرأة، ومساواتها بالرجل، ولهذا تجد عندها إحصاءات عجيبة عن الوزارات والمؤسسات والشركات، وعن نسبة

الرجال والنساء في كل منها، وكم أرغمتْ هذه الجهة أو تلك على قبول عدد من النساء وفصل الزيادة من الرجال، وكم ربحتْ الحكم ضد شركات أقدمتْ على تسريح مجموعة من النساء بسبب عدم الحاجة إليهن. كانت هذه المرأة ذائعة الصيت، ولها مكانة كبيرة في المجتمع الغربي، كما كانت مثالاً يحتذى به للنساء بل وللرجال الذين ينادون بالمساواة المطلقة بين الجنسين.

الصورة الثانية: صورة هذه المرأة وهى مريضة، وقد حولها طبيبها الخاص إلى قسم الطوارئ في مستشفى الأمراض النفسية الذي كنتُ أعمل به.. وقد شاهدتُ بعيني مشهداً يختلف تماماً عن المشهد الذي يراه الناس على شاشة التلفاز أو في قاعة المحكمة: شاهدت امرأة ضعيفة منهارة محطمة تشعر أنها تعيش وحدها في هذه الدنيا، ليس لها ابن ولا زوج ولا أخ ولا والد.. أما النساء فيعرفنها محامية قوية تدافع عن حقوقهن، ولا حاجة لهن بها إذا كانت مريضة في المستشفى، أو مقعدة في بيتها، أو في مأوى العجزة..

كنتُ أعرف مشكلتها قبل أن أسألها ومع ذلك سألتُها حيث لابد من سؤال المريض والاهتمام بكل ما يقول.. قلت لها:

ما مرضك وبماذا تشعرين؟ فأجابت: "أريد رجلاً يشاركني الحياة ويقول لي: لا..!! لقد مللتُ الحياة التي عشتُها، والعمل الذي اخترتُه". هذا مرضها أنقله بأمانة ودقة.. وقد قمتُ بواجبي وأعطيتها العلاج اللازم للمصاب بحالة "اكتئاب"، ولكنني أشعر بأنها لن تشفى من هذا المرض لأنها لن تجد رجلاً عاقلاً يغامر بحياته وعقله ويتزوجها، وإذا وجدتْ فسوف يكون من أشباه الرجال ولن يقول لها "لا!!" ومثل هذا الرجل لا يعالج مشكلتها...

أرأيتم المرأة عندما تصطدم مع الفطرة التي فطر الله الناسَ عليها ؟!. قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم ٣٠).

والحق أن الناس شاهدوا هذه المرأة بكامل قوتها وذرابة لسانها، ولم يروها وهي على فراش المرض تشكو من المرض النفسي: (الاكتئاب)، وكان إعجاب المخادعين لها والمخدوعين بها هو سبب مرضها، ومصدر شقائها وبؤسها وقهرها، وهذا الذي شاهدتُه بنفسي، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن أراد

مزيداً من الأدلة فليبحث عن نسبة الذين يعانون من أمراض نفسية من النساء الشهيرات في ديار الغرب، بل وفي ديارنا.

إن قوامة الرجل في بيته خير له ولزوجه وأولاده، والتنازل عن هذه القوامة للمرأة جحيم لها لا يطاق، ومساواة المرأة مع الرجل أكذوبة ابتدعها أعداء المرأة من اليهود والصليبيين والشيوعيين وسائر العلمانيين الملاحدة، وجميع الإحصاءات الحديثة تؤكد فشل هذه الأسطورة.

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور ٦٣)[(١١)].

لغة الأرقام

إنها لغةٌ تتحدث بصريح الدلالة وتسطع سطوع الشمس في رابعة النهار.. فقد أبانت معلومات نشرتها صحيفة الخليج الإمارية أن إحصائية لرصد اتجاهات الحركة الاجتماعية في الولايات المتحدة كشفت أن ٨٠٪ من الأمريكيات يعتقدن أن من أبرز النتائج التي تمخضت عن التغيير الذي حدث في دورهن في المجتمع، وحصولهن على الحرية هي:

انحدار القيم الأخلاقية لدى الشباب هذه الأيام، وقالت المشاركات في الاستفتاء أن الحرية التي حصلت عليها المرأة خلال السنوات الثلاثين الماضية، هي المسؤولة عن الانحلال والعنف الذي ينتشر في الوقت الحاضر.

ولدى سؤال المشاركات، وعددهن يزيد على أربعة آلاف امرأة: هل تتمنين أن تكون ابنتك مثلك؟؟ أجاب ٦٠٪ منهن بالنفي، وقالت ٧٥٪ من اللواتي شاركن في الاستفتاء إنهن يشعرن بالقلق لانهيار القيم التقليدية والتفسخ العائلي، بينما قالت ٦٦٪ منهن إنهن يشعرن بالكآبة والوحدة.

وبالنسبة للنساء العاملات، قال ٨٠٪ منهن إنهن يجدن صعوبة بالغة في التوفيق بين مسؤولياتهن تجاه العمل، ومسؤولياتهن تجاه المنزل والزوج والأولاد، وقال ٧٤٪ إن التوتر الذي يعانين منه في العمل ينعكس على حياتهن داخل المنزل، ولذلك فإنهن يواجهن مشاكل الأولاد والزوج بعصبية، وأية مشكلة - مهما كانت صغيرة - تكون مرشحة للتضخم.. وإنما ذلك للضغوط التي تتعرض لها المرأة، ومن إحساسها أنها لا تقوم بالدور الذي ينبغي أن تقوم به في المجتمع.

ولكن، ماذا لو عادت عجلة التاريخ إلى الوراء، هل كانت المرأة تطالب بالتحرر وحقها في العمل، والمساواة بالرجل؟ ٨٧٪ من اللواتي شاركن في الاستفتاء قلن: لو عادت عجلة التاريخ إلى لوراء لاعتبرنا المطالبة بالمساواة بين الجنسين مؤامرة اجتماعية ضد الولايات المتحدة، ولقاومنا كل من يرفع شعارها[١٢].

مؤتمرات أم مؤامرات؟

هذه هي الحقائق البينات وتلك أدلتها.. أما الغرب الصليبي واليهودي ودعاواهم في مؤتمراتهم وآلتهم الإعلامية الضخمة التي أجلبوا عليها بخيلهم ورَجِلِهم فإنه أحقرُ من أن يلُتفتَ إليه - وأنا شاهد عليه والله شهيد على ما أقول - فالمرأة عندهم تحت هجير الحرية المزعومة حذاء - إِي وربي - يلبسه أراذلهم من شاء متى شاء، ويخلعه متى شاء إذا شاء، بل هي عندهم أهونُ، ولايسمح المقام أن أقول أكثر من ذلك فهذا مقامُ تلويح لامقامُ تصريح!!..

هذا مثال لمأساة أخرى تتجدد كل يوم تطلع فيه الشمس!! غير أنها الآن أشهر ممثلة أمريكية وقد جعلوها صنماً للفتنة يعبد من دون الله.. هي مارلين مانرو، وقد عاشت تعاسة لاتشبهها تعاسة حتى أقدمتْ على الانتحار، ثم اكتشف محقق قضيتها رسالة في صندوق الأمانات كُتب عليها (لاتفتح قبل وفاتها)... وقد كَتبتْ فيها بخط يدها إلى فتاة تطلب نصيحتها: "احذري المجد.. احذري كل من يخدعك بالأضواء.. إني أتعس امرأة على هذه الأرض.. لم أستطع أن أكون أُمّاً إني

امرأة أفضل البيت.. الحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية..إلخ"(١٣).

ولو أنهم سمعوا صوت عقلائهم لتجنبوا كثيراً من الرزايا، ومن صدى هذا الصوت كلمة الفيلسوف الألماني شوبنهور في بدايات القرن العشرين الميلادي وقد أصاب كبد الحقيقة يقول: "اتركوا للمرأة حريتها المطلقة كاملة دون رقيب ثم قابلوني بعد عام لتروا النتيجة، ولاتنسوا أنكم ستَرْثون معي للفضيلة والعفة والأدب، وإذا متُّ فقولوا: أخطأ أو أصاب كبد الحقيقة"(١٤).

ولعَمْرُ الله إن للاختلاط الذي تمارسه مجتمعاتهم تلك، آثار مدمرة لا يعلم مداها إلا الله، وإلا من اكتوى بحَرِّ نارها منهم، وإن المرأة المسلمة الغافلة التي تُقاد قسراً إلى هذه النار، وتُؤطر على ورودها أطْراً، إني أرى في هذه المسكينة الساذجة المغفلة صورةَتلك الشاة التي تُقاد لحتفها وهي لاهية تلعب، تظنّ أنها ذاهبة إلى مَرْعى ومَرْبع.

ولقد جاءت إلى مصر كاتبة إنجليزية في مطلع القرن العشرين، وأقامت أشهراً تخالط النساء المسلمات المحجبات، فأدركتْ حينها شيئاً من الحكمة الربانية في مشروعية منع

الاختلاط، وضرورة الوقاية من آثاره الضارة على الأسرة والمجتمع!..فلما رجعت إلى بلادها كتبت مقالاً عنوانه: (سؤال أحمله من الشرق إلى المرأة الغربية) تقول فيه:

"إذا كانت هذه الحرية التي كسبناها أخيراً، وهذا التنافس على المتعة الحرام، وتجريد الجنسين من الحجب المشوّقة الباعثة التي أقامتها الفطرة بينهما، إذا كان هذا سيصبح كلُّ أثره أن يتولى الرجال عن النساء، وأن يزول من القلوب كلُّ ما يحرك أوتار الحب الزوجي، فما الذي نكون ربحناه؟ لقد والله تضطرنا هذه الحالة إلى تغيير خططنا، بل قد نستقر طوعاً وراء الحجاب الشرقي لنتعلم من جديد فن الحب الحقيقي"(١٥).

أين تكريم الإنسان؟

أين حقوقه؟

ومن العجيب أن الغرب ومايدعو إليه في مؤتمرات المرأة تلك - وآخرها "بكين+٥" وقد عُقد في نيويورك / يونيو عام ٢٠٠٠ - وماتشتمل عليه من المؤامرات ومن توصيات مخجلة داعية إلى تدمير المرأة والأسرة، ومن صنوف الرذائل التي لا ترضاها بهيمة الأنعام فضلاً عن الإنسان الذي كرمه الله، كل ذلك متحقق في مجتمعاتهم وفي المرأة الغربية على أكمل وجه والعياذ بالله!!..

إذن، فلماذا كل هذا الضجيج؟؟.. ولماذا كل هذه القرارت الأُممية الملزمة لجميع الدول بغض النظر عن دياناتهم وثقافاتهم، ولماذا ربط المساعدات الاقتصادية للدول الفقيرة بالالتزام بهذه التوصيات.. ولماذا هذه الميزانيات الضخمة، وهذه المتابعة الدقيقة لتطبيق القرارات بما لا يُعرف له مثيل في تأريخ الاتفاقات الدولية حتى تلك التي كانت أثراً من آثار الحروب المدمرة التي راح ضحيتها الملايين من البشر!..

أما المفاجئة - بل الكارثة - فسؤال أطرحه: أين سيكون مؤتمرهم القادم المزمع عقده في عام ٢٠٠٥م؟؟

أحْسبُ أن حَدْسكِ في محله!!.. نعم في عقر دار الإسلام.. في عاصمة أرض الكنانة، القاهرة، ولاية عمرو بن العاص، وموطن قطز، والظاهر بيبرس، والعز بن عبد السلام!! ندرؤ بالله في نحور أعداء الملة ونسأله أن يكفينا شرورهم وأن يرد كيدهم إلى صدورهم.

ولكن يبقى السؤال الحائر لأي شيء يفعلون كل هذا؟؟ أجل- أخيّة- لكي يصدِّروا أوبئتهم المزمنة التي استعصتْ على العلاج إلى مجتمعات العالم الثالث - كما يسمونه على أن هذا مصطلح قد انتهت صلاحيته منذ نهاية الشيوعية وسقوطِ عرشها الكبير.

لكنما غايتُهم الأولى في هذه الحرب - التي لم تعد باردة بحال من الأحوال - هو عالمنا الإسلامي برمته؛ لمزيد من إثارة الشبهات والشهوات؛ لإضعافه وصده عن اليقظة المرتقبة التي بشرنا بها حبيبنا صلى الله عليه وسلم - وهيهات يكون لهم ذلك وأمر الله نافذ، وأجل الله إذا جاء لا يؤخر - وعلى طريقة "إياكِ أعني واسمعي ياجارة" وما عاد هذا يخفى على ذي لب،

وما من شيء يقذف في قلوبهم الرعب كالإسلام وأهله ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾(الحشر ١٣). رهبة وحروف اشتقاقها ر هـ ب، وفوق هذا يقول ربنا عنهم وقوله الحق ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (الحشر ١٣)، فمن منا يجرُؤ - أمة القرآن - أن يقول قولاً غير قول الحق تبارك.

ولحسدهم إيانا على نعمة الإسلام وقيمه الثابتة في زمن يموج بالفتن، ويتغير بسرعة رأسا على عقب؛ ولحسدهم إيانا على قيم الأسرة family values التي سمعتُهم يتغنون بها، ينوحون عليها مثل نوح الثكلى على ولدها الوحيد، القيم التي فقدوها إلى الأبد - إلا أن يأخذوا بالإسلام طوعاً أو يختاروا بينه وبين الموت يوم لا يقبل منهم عيسى عليه السلام عند نزوله إلا الإسلام - والأسرة الصالحة التي تتوجها المرأة الصالحة «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»؛ لذا صاروا لايطيقون أن يروا ثوب الكرامة ولاعباءة الفضيلة عندنا بعد أن تعرّوا منهما، ورأوا أنهم سائرون في طريق ليس فيه رجعة، ويريدون أن يأخذوا معهم من استطاعوا من بني جلدتنا، فهم حقا دعاةٌ على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها!!

أمَا لو كانت دعوى (تحرير المرأة) عندهم فيها بعض خير للمسلمين لوضعوها في السراديب، وغلّقوا دونها الأبواب، ولرقَمَوها بالختم الأحمر "سري للغاية" أو "ليس للتصدير"، "تحرير المرأة للاستعمال المحلي فقط.." ومن يخالف ذلك تطبق عليه أقصى العقوبات القانونية الرادعة دون هوادة، تماماً كما يفعلون في شؤون التقنيّة والصناعات الأساسية والثقيلة، وصناعة الإلكترونيات الدقيقة ورُقاقات الحاسب الآلي..!!

ولكنّ القوم كما قال ربنا وهو أصدق قائل: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ (النساء ٨٩) وفي الآية الثانية: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾ (البقرة ١٠٩).

أيَّ الطريقين تختارين؟

طريقُكِ يا عَفّةَ الأمنيات شموخٌ، ودربُ الخنا عاثره
دعيهم لينعقَ كلُّ دعيّ بعَلْمَنةٍ فجّةٍ سافره
ففي كل يومٍ لهم صيحةٌ تفوحُ برغبتِها العاهره
سَيرمون نحوكِ حقدَ السنين وتُجلِبُ خيلُهم الثائره
ويَذْرونَ دمعَ النصيحِ الخؤون يُريدون هتكَ العُرى الساتره
يُمَنُّون أرواحَهم أنْ يروْك على سكرةِ الملتقى حاسره
فكوني منارةَ خيرٍ وهَديٍ تفيضُ على الأنفس الحائره
وسيري بطهركِ رغم الحقود وقولي لهم: إنّني الظافره
أنا النورُ في حالكِ المظلمات أنا قِصةُ العزةِ الناصره
أنا السترُ يُضفي السناءَ البَهيّ إذا أعلنتْ بالخنا السافره
أنا وردةٌ من قِطافِ العفاف تُدل بروعتِها العاطره

التائبات:

بشائر وحديث ذو شجون

اللهم إنك تفرح لتوبة عبيدك وإمائك، وإنا نفرح لما يرضيك، فلا تحرمنا رضاك ورؤية وجهك الكريم بفضلك العميم. اللهم لا يأس من رحمتك ولا قنوط أبداً - معاذ الله - ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (يوسف ٨٧).

في هذا الفصل نحمل البشائر بكشف الغمة عن نساء الأمة وهنّ لا يبغين بالإسلام بدلاً، وفوق ذلك يُفَدّينه بالأموال والأرواح والأولاد، انتقيتُ منها هنا - رغبة في الاختصار - قليلاً من كثير.

منيرة: كنتُ أعشق التبرج، فسايرت الموضة في العباءات بكل أنواعها وأشكالها، وفي نفس الوقت كنتُ أعتبر العباءة الساترة مقتصرة على المتخلفات عن ركب الموضة و"الفقيرات"..! وذات يوم ذهبتُ وأنا بكامل زينتي مع مجموعة من صديقاتي إلى السوق، وحين رأتني إحدى النساء وجّهتْ لي النصيحة بأن أتحجب حتى لا أتعرض للنار، اهتز جسمي لنصيحتها، لكني

أردتُ أن أضحك صديقاتي اللواتي برفقتي فقلتُ لها - ولا أدري هل أندم على ما قلت أو أفرح له؛ لأنه كان سبباً بعد رحمة الله في توبتي ورجوعي للحق- أتدرون ماذا قلت؟؟ ..قلتُ كلمة بكيتُ منها! لقد قلتُ بعد أن مددتُ كفي لها: قبّلي يدي وأتحجب!! قولوا لي بربكم ماذا تظنون أنها فاعلة؟ هل غضبت؟ أو زمجرت؟ هل اعترضت؟ أو انسحبت؟

لا وربي لا هذا ولا ذاك، ولكن أَخذتْ يدي وقبلتها وهي تقول: أقبل يدك ورأسك مادمتِ ستتحجبين، فأنت غالية والطلب رخيص! ودَعتْ لي بالخير، وعندها بكيتُ وبكيتُ وبكيتُ، واستصغرتُ نفسي وازدريتُ عباءتي، وعدتُ إلى البيت وخلوتُ بنفسي بعض الوقت، وقررتُ أن أرتدي العباءة الساترة، مستعينة بالدعاء، وكم تمنيتُ لو أني أعرف تلك المرأة لأشكرها، وحسبي أني أدعو لها في كل حين! وكما توقعتُ، فقد لاقيتُ سخرية واستهزاءً ممن حولي.. ولكني لم أبال بما يقولون.

ومن مزايا العباءة الساترة أن جعلتْ الأجانب يحترمونني، فلم يعد أحد يتجرأ على النظر إليّ، كما أن الباعة صاروا

يتأدبون معي في الحديث، عكس ما كان منهم سابقاً ومن هنا أدركتُ أن للحق هيبة.

أمل بنت عبدالله "معلمة": خليط الموضات الذي اخترته لعباءتي كان له دواع منها: عدم فهمي لحقيقة الحجاب، ونظري له على أنه تراث وعادة تمر عليه تغييرات الحضارة فيشمله التعديل والإضافة وربما الحذف أيضاً، وبدافع التقليد أيضاً ومواكبة الموضة وهذا الأخير سبب خفي لا تعترف به كثير من النساء، ولا أخفي الحقيقة أن هذا الحجاب المغلوط يعد نداءً لضعاف النفوس، وإبرازاً لمفاتن المرأة فهو وسيلة عرض تجمل المعروض، وكثيراً ما تعرضنا لمضايقة الشباب، وعند زجرهم كانت التعليقات على الحجاب السافر، إذ أنه في نظرهم إشارة رضاً بمعاكستهن، ومنذ سنتين صار حجابي ساتراً، ومما دعاني إلى هذا التغيير أربعة أسباب هي:

١) وضعتُ أمام عيني خطط الأعداء الدائبة لنزع الحجاب، وذلك من تدرج الوسائل إلى تغيير ملامح الحجاب الإسلامي، وكلنا نذكر عندما كان مجرد لبس النقاب يعد مستنكراً، ومع انتشار الوضع ألفه الناس وهكذا، ولعلمي الأكيد أنه بسقوط الحجاب تسقط

وراءه المرأة ومن من ورائها المجتمع كله، فكيف أرضى لنفسي أن أكون شريكة لمن يحاربون الإسلام ويهدمونه؟

٢) وبصدق مع الله ثم مع نفسي، أيقنتُ أن هذا الحجاب ليس بحجاب، والمظهر له علاقة بالجوهر والنيات لا يعلمها إلا الله عز وجل، فحتى إن كنت عفيفة، فلباسي يقول عكس ذلك..!!

٣) وبنظرة إلى المستقبل، وجدتُ أننا نسهم في تربية نشء لن يعرف الحجاب الإسلامي، وبمعادلة بسيطة اكتشفتُ أنني سأحمل وزر الجيل القادم والأخريات اللاتي سوف يقتدين بي، إضافة إلى وزر كل رجل أكون سبب فتنة له، ووزر تصرفه إزاء تلك الفتنة، فتيقنتُ أن النتائج في هذه المعادلة خسران مبين، وتعد على حقوق خلق الله عز وجل وخصومتهم لي أمام الله، فماذا عساي أن أقول.

٤) وأخيراً أدركتُ حقيقة الحجاب واستجبتُ لأمر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد جددتُ النية على أن يكون عبادة لا أضيّع أجرها.

وقد شعرتُ في أول مرة أرتدي فيها العباءة الساترة بأنني كالطائر المحلق بين الأرض والسماء، فكم فرحتُ بهذا النصر على هوى النفس وأعداء الإسلام. كان الفرق بين الحالتين كبيراً، بالأمس عيون ضعاف النفوس تفترسني، واليوم أجدها تغض الطرف هيبة واحتراماً حتى خطواتهم أصبحت تتنحى بعيداً عن دربي وكأن السير فيها صار محرماً. أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتني فتكاد لا تذكر مقارنة بقضية مهمة، وهي شعور يخالج النفس التائبة ويسد مدخلاً من مداخل الشيطان يبث من خلاله شعوراً بأن الحجاب بهذا الشكل يشوه شكلي، ولكنني - ولله الحمد - تداركتُ ذلك، **أولاً**: باستشعار رضا الخالق، فقد أعطاني ذلك الشعور دفعة قوية إلى إبراز عزتي بالحجاب، **وثانياً**: كونه عباءة فيها أجر ومثوبة من الله سبحانه، **وثالثاً**: إحساسي بالمسئولية أمام الله والمجتمع الإسلامي وأنه تحد لمخططات الأعداء. كل ذلك زادني قوة ورفعة، وأن غيري كثيرات هُزِمنَ ولن أكون مثلهن، ووجدتُ نشوة الاقتداء بأمهاتنا الصحابيات الطاهرات. أما ردة فعل من حولي فكانت هيبة وإن أخفاها اللسان فلاتخفيها التصرفات والنظرات، وكنتُ مستعدة لأي نقد ومواجهة بالحجة والموعظة الحسنة، وتقوى الله عز وجل أعز على نفسي

ورضاه غاية المنى عندي، أما الأخوات المستقيمات فكنت أسمع منهن همس الدعوات لي بالثبات.

أم سلمان "ربة بيت": حينما تزوجتُ وجدت قريبات زوجي على شاكلة تختلف عن أهلي، فالعباءة مثلا كلها من الموديلات الحديثة المتبرجة، وحتى لا أظهر بشكل أقل منهن وبمستوى يختلف عنهن لبستُ مثلهن - هكذا كنتُ أفكر!

وأقولها بصراحة إنني لم أكن مقتنعة بها ولا راضية عن نفسي، وكم أنَّبني ضميري بدليل أنني بين حين وآخر أدخل عليها شيئاً من التحسينات لأكون بهيئة قريبة من الستر.

وذات مرة حضرتُ محاضرة أسهَبتْ الداعية في الحديث عن العباءة المتبرجة وذكَرتْ فتاوى العلماء بخصوصها، عندها انفتح ذهني إلى كثير من الأمور حتى إنني رجعتُ إلى كتب التفسير وبحثتُ في معاني التبرج وأشكاله، وأدركتُ من خلالها أن الحجاب ليس موضع زينة ولا تجمل وهو ما لا ينطبق على عباءتي وعلى الفور أبدلتها بخير منها، وعلى إثر هذا تخلصتُ من المضايقات التي كنتُ أجدها والتي كانت تشعرني بالإرباك والخوف وكثرة التفكير.

وهناك أمر أود أن أذكره وهو أن العباءة الساترة مريحة للمرأة معنوياً وأيضاً مادياً فلا تحتاج سوى واحدة أواثنتين من نوع واحد وبسعر مناسب.أما العباءة المتبرجة فإنها تحتاج لأنواع مختلفة، فواحدة للسوق وأخرى للسهرات وثالثة للسفر وهكذا وكلها أسعارها باهظة.

منى بنت أحمد "معلمة": لأن العباءة المتبرجة أسهل في اللبس والحركة، وتتوفر بكثرة في الأسواق فقد لبستها ولكنني بفضل من الله عز وجل تركتها منذ عام تقريباً؛ وذلك لأسباب مجتمعة وهي عدم رضى زوجي وإصراره على تغييرها، ورغبتي في أن أكون قدوة صالحة لبناتي لأنهن في عمر تشتد فيه الحاجة للقدوة وقد لاحظتُ ذلك من خلال احتجاجهن على تقصيري كلما أمرتُهن بأمر فيه خير، وأما العامل الآخر فهو النقاش الهادئ الذي اعتادت أختي على إدارة دفته بين الفينة والأخرى وإن كنتُ في بداية الأمر لم أقتنع بما تقول.

أما الذي رسخ هذا الأمر في بالي هو موت والدتي -رحمها الله -وصورتها وهي تلبس العباءة الساترة فوق رأسها وترفض أن تلبس النقاب مع أنه أيسر لها في رؤية الطريق فاتخذتُها قدوة لي، إضافة إلى تفكيري الدائم بالموت

والحساب، وعزمي على الاستعداد لذلك بجمع الحسنات؛ باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، والفرق بين العبائتين بَيِّنٌ واضح فالمتبرجة أسهل في اللبس، وأيسر في الحركة، إلا أنها تبرز الجسم، وتلفت النظر، وأما الساترة فهي اسم على مسمى تستر الجسم ولا تبين تفاصيله، وفي نفس الوقت تضع الهيبة في قلوب ضعاف النفوس، فلا يتطاولون على من يرتدينها بالكلام ولا بالنظر، ولا أنكر أنني حينما غيرتها شعرتُ في البداية بصعوبة.

ولكنني تغلبتُ على المصاعب بتذكر الأجر والثواب ومعرفة أن الدنيا دار تعب وأن الآخرة للمؤمن دار نعيم وراحة وهناء، ولا أنسى تأثري بفرحة معارفي واستبشارهم بتوبتي فشجعني ذلك على المضي والثبات.

حصة بنت عبدالله "معلمة": لا أكتم سراً أني كنتُ أحس بالذنب وأنا ألبس عباءتي المتبرجة، لأنني على قناعة تامة بأنها غير ساترة، ولكن مجاراة لمن حولي، استمررتُ بلبسها ولكم تضايقتُ من نفسي، فكيف تضعف شخصيتي حتى أقلد بلا رضاً ولا قناعة؟ ومن تلبس عباءة من هذا النوع تعرض نفسها للمعاكسات والأهم من هذا أنها تقارن بالمتبرجات وإن لم تكن مثلهن.

من هنا بدأت أفكر بجدية في التغيير، وبالفعل خطوتُ هذه الخطوة المباركة التي وهبتني الرضا عن نفسي وأشعرتني أنني سأكون بخير في أي مكان أذهب إليه؛ لأن هناك فرقاً بين العباءتين، فالمتبرجة يظن بصاحبتها السوء وتعرِّض نفسها للمخاطر، كما أنها تعطي المرأة شعوراً غريباً يجعلها تتغير في مشيتها وحركاتها وسكناتها، أما الساترة فهي أساس الحشمة والوقار وأتمنى لو أني لم أعرف درباً للمتبرجة أبداً(١٦).

بل شموخ الإيمان

أختي الغالية.. أيُّ امرأة أنت بين النساء تحمل القرآن بيمينها والسنة.. رضيتْ بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً..

أبعد أن توّجكِ الله بأبوين مؤمنين صالحين، فنشأتِ في بيت مسلم ملؤه الطهر والعفاف.. وبعد أن رضعتِ لُبانة الإيمان منذ الصغر وتعلق قلبُكِ كلمةَ التوحيد ومعنى الإخلاص؛ تكونين كالتي نقضتْ غزلها من بعد قوة أنكاثاً؟!

أيجوز لك بعد تلك الكرامة أن تكوني تبعاً لمخلفات الغرب الفكرية والخلقية والاجتماعية.. ألا تعلمين أن المرأة الغربية عندما تراكِ كَلِفة بتقليدها والسيرِ على خطاها تنظر إليك باحتقار وازدراء شديدين كما عبر عن ذلك بعضهن.. أيجوز لكِ هذا التهافت وهذا السقوط المريع...؟؟

كلا والذي لاإلهَ غيرُه، ارفعي رأسك اعتزازاً بدينك الحق، واشمخي بأنفك شموخ الإيمان لاكِبراً ولابطَراً.. واختاري

من الطريقين ماهو أليق بتكريم الله لكِ واسلكي أحسن النجدين فكوني من الشاكرين لا من الكافرين وإن الله عز وجل قال في محكم كتابه عن مآلِ الخلائق ومصائرِهم:
﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ (الشورى ٧).

أجل في يومِ القيامة، يومِ الحسرة، يومِ الندامة.. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (هود ١٠٣-١٠٨).

فاختاري يا أخيّة من الطريقين ما يوصلك إلى أحسن الغايتين.. وأحسبكِ قادرة على ذلك..

وأسأل الله لي ولكِ التوفيق والسداد.

الهوامش

١. المقابلة نشرت في موقع "نسيجها" على شبكة الإنترنت.

٢. صحيح لغيره انظر الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، مصطفى العدوي.

٣. مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر وقال إسناده صحيح.

٤. شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/١٩١-١٩٢.

٥. من كلمات المسلمات الجديدات، محمد رشيد العويد.

٦. المصدر السابق.

٧. الله ليس كذلك، زيغريد هونكه.

٨. المرأة وكيد الأعداء، د.عبد الله وكيّل الشيخ.

٩. دمعة حجاب، مادة صوتية.

١٠. العائدات إلى الله، محمد المسند.

١١. مشاهداتي في بريطانيا، د.عبد الله الخاطر.

١٢. صحيفة الخليج الإمارية: ٢٠٠٠/٣/٢٥م.

١٣. المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي.

١٤. المصدر السابق.

١٥. وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي.

١٦. مجلة الدعوة، تحقيق أمل الذييب العدد ١٨١٠-٣ رجب ١٤٢٢هـ.

كتب للمؤلف:

١. لكيلا يتناثر العِقد

٢. رسالة إلى أعز الناس

٣. عندما تكون الحقيقة شمسا

٤. رويداً سليل المجد

٥. الفردوس المفقود- متى يعود؟



عبدالرزاق بن عبدالرحمن المبارك

فاكس: ٥٠٢٠٠٤١(٠٢)

ص. ب: ١٦٨٦١

مكة المكرمة

المملكة العربية السعودية



لكيلا يتناثر العِقد

- أخيتي..

أرى خَلَلَ الرماد وميضَ جمرِ

وأخلِق أن يكون له ضِرامُ!

- هذا مثال لمأساة أخرى تتجدد كل يوم تطلع فيه الشمس!! غير أنها الآن أشهر ممثلة أمريكية وقد جعلوها صنماً للفتنة يعبد من دون الله..!

- وبالمناسبة - ومن الطرافة بمكان - فإن من المعلوم أن جُل مؤسسي الحركة «النسوية» والكثرة الكاثرة من الناشطين لها ليسوا من النساء!!.. هل هذه مفاجئة؟؟..

- ..قال محدثي: وقد رأيتُ عينيها اغرورقتا بالدموع ثم قالت لي بالعربية الفصيحة: «بيني وبين ذلك قاب قوسين أو أدنى» قال فما مر عام أو أكثر حتى..!؟

- سألتني: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟.. أتفهمين معناها؟؟.. إنها ليست كلمات تقال باللسان..!

- وقد نقل عن العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز «رحمه الله» أنه لما سمع بانخفاض مياه بحيرة طبرية إلى الربع غلبه البكاء وقال هذا زمن ..؟

- ومن الكلمات التي تعبر عن الفرح الغامر الذي يستنطق الدمعة من الجفن، ومن هذا الذي تفيض به قلوب الداخلات في دين الله كلمات اليونانية «تيريز» تصرخ حتى إن صوتها ليكاد أن يصل إلى نجوم السماء الزهر تقول..!

- وبعد، فهذه كلما[illegible] ل إلى قلبك وعلها تعين على إصلاح الزما[illegible] العِقد قبل أن يتناثر...

ردمك: ٩٩٦٠-٤١-٣٥٣-٥